جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور
بين التأثر والتجديد

عبد الرحمن محمد أحمد حامد
مدير التفسير وعلوم القرآن
 بكلية البنات الأزهرية بطيبة بالأقصر

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٣٢٦/٢٠٢٠ م
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد

فهذه بحث بعنوان: توجيه المتشابه اللغظي في القرآن الكريم عند الإمام محمد الظاهر بن عاشور بين التأثر والتجديد.

والبحث يكشف عن اهتمام أحد العلماء في العصر الحديث بالكشف عن إظهار بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه في ورود التشبيه اللغظي في القرآن الكريم، وهو العالم الشهير صاحب المؤلفات القيمة الإمام محمد الظاهر بن عاشور.

والمبحث عماده عقد موازنة بين ما ذكره هذا العالم الجليل في تفسيره الكريم: التحرير والتنوير في بعض مسائل المتشابه اللغظي في القرآن الكريم وما ذكره غيره من العلماء السابقين عليه ممن اهتمام بهذا العلم؛ للوقوف على مدى تأثره بهم وتوضيح وبيان الجديد الذي قدمه في توجيه مسائل المتشابه اللغظي في القرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تحدث فيها على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

وأما التمهيد فشمل على التعريف بالإمام محمد الظاهر بن عاشور.

ثم تناولت في البحث الأول: مفهوم التوجيه، وتعريف المتشابه، وأنواعه والمصنفات في المتشابه اللغظي، وأسباب التأليف في المتشابه اللغظي، وحکمة وجود المتشابه اللغظي في القرآن الكريم.
ثم جاء البحث الثاني بعنوان: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بصاحب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين.

ثم جاء البحث الثالث بعنوان: التجديد في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي خلصت إليها من هذه الدراسة.
Summary of the Study

Praise be to Allah and Prayers and Peace be upon the Messenger of Allah and His Family and Companions

This research is entitled, "Directing the Verbal Similarity in the Holly Quran of Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour between the Impact and Renewal". It aimed at investigating the interest of one of the modern scholars who is interested in identifying the revelation of the Holly Quran eloquence and His mystery and miracle in the occurrence of similarity in the Holy Quran. This famous scholar of valuable works is Mohammed Tahir bin Ashour.

This research aimed also to balance between the valuable interpretations of the great scholar, Mohammed Tahir bin Ashour, in his book: "The Liberation and Enlightenment in some Issues of Similarity in the Holy Quran", and those of other former scholars who had an interest in this field in order to find out to what extent he got influenced on them, and to clarify and recognize the new contributions presented in directing the issue of verbal similarity in the Holy Quran.

Further, this research was presented in an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. The introduction revealed the importance of the research topic and the reasons of its choice, its methodology, and its plan. The preface introduced Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour. Then, the first chapter consisted of the definition of verbal similarity and the types and works of the verbal similarity, the reasons for the authorship of the verbal similarity, and the wisdom of the existence of similarity in the Holly Quran. The second chapter is entitled, "the influence of former scientists on Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour in the direction of verbal similarity in the Holly Quran. It included two sections; the first one, Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour`s influence of the other works of verbal similarity. The second section: Imam Muhammad Al-Tahir Bin Ashour`s influence by the former interpreters. The third chapter is entitled, "Renewal of the verbal similarity in the Holy Quran at Imam Muhammad Al-Taher Bin Ashour study. Finally, the conclusion included the study findings.
مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل - جلت حكمته - (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لآيتون مثيله ولؤ كان بعضهم لبضع ظهرًا). (1)

وأشهد أن يسنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، ختم الله به الرسلات، وهدى به من الضلالات.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، وكتابه العزيز الذي أحكمت آياته وفصلت كلماته من لدن حكيم خبير، برهت بلاغته العقول، وأعجزت فصحته أروبة البلاغة وأصحاب الفنون، وإن من أكبر آيات بلاغته وأعظم مظاهر إعجازه ذلك التشابه اللغوي بين كثير من آياته، فقد تتشابه الآيات أو الثلاث، ويختلف نظمها بتقديم وتأخير، أو تأنيث وتذكير، أو إضمار وإظهار، أو إفراد وجمع، أو ذكر وحذف، مما اصطلاح عليه العلماء بالتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مما حدا بعلماء الأمة قديماً وحديثاً أن يجعلوا دراسة التشابه اللفظي في القرآن الكريم محل اهتمامهم ومحتم أنظارهم، فعلماء منذ القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر الهجري تعددت مصنفاتهم، وتواترت همهم، وتواصلت جهودهم، وتلاقت أفكارهم حيناً تباقبت حيناً آخر حاولا منهم للكشف عن إظهار بلاغة القرآن الكريم وسر إعجازه في هذا التشابه اللفظي، وقد كان من بين العلماء الذين أولوا التشابه اللفظي في القرآن الكريم اهتمامهم وأعراوه انتباههم الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره القيم التحرير.

(1) سورة الإسراء، آية: 88
وتوجيه المشابه الليفي في القرآن الكريم

العدد الخاص والعشرون للعام 1437 هـ
الجزء الثاني

العدد الخامس والعشرون للعام 2016م

والتنوع. فأحبت أن يكون لي معه وفقة أظهر من خلالها اهتمامه بهذا الجانب، مبينا تأثره بالعلماء السابقين عليه، ومظهما ما أبداه من ملاحظات وإسهامات وإضافات فيما تناولته من مسائل علم المشابه الليفي.

ومما دعاني لتناول هذه الدراسة أنني لم أجد أثناء بحثي في مصادر البحث المختلفة رسالة، أو بحثا، أو كتابا، أو دراسة سابقة تكشف عن اهتمام الإمام محمد الطاهر بن عاشور بتوجيه المشابه الليفي في القرآن الكريم، وهذا ما شجعني على بحثه ودراسةه، وإنما توجد بحوث ورسائل تتعلق بالطاهر بن عاشور من حيث منهجه في التفسير، أو من حيث استدراكاته في تفسيره على من سبقه في أسباب النزول، أو من حيث آرائه الأصولية، أو من حيث آرائه في الإصلاح التربوي، إلى غير ذلك مما هو بعيد عن موقف الطاهر بن عاشور من توجيه المشابه الليفي في القرآن الكريم.

كما كان من أسباب بحثي في هذا الموضوع كثرة الآيات القرآنية التي اشتملت على بعض الاختلافات الليفية في القرآن الكريم، وما يمثله هذا اللون من العلم بما يقدمه من أسبار تكشف عن حممة هذا الاختلاف من البرهان القطعي والدليل الساطع على بلاغة وإعجاز القرآن الكريم وأن البحث في المشابة الليفية في القرآن الكريم فيرد البلينغ على أعداء الإسلام الذين يتخذون من هذا المشابه مادة للطعن في كتاب الله تعالى - وقد أسهمت هذا البحث بـ: توجيه المشابه الليفي في القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور بين التأثر والتجديد.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على منهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع ما ذكره الإمام محمد الطاهر بن عاشور من توجيه لبعض الآيات المشابهة لفظيا، مع عقد موازنة بين ما ذكره في المسألة وما ذكره غيره من أصحاب مصنفات توجيه المشابه الليفي وأصحاب التفاسير الكبرى ممن لهم اهتمام بهذا
العلم؛ للوقوف على مدى تأثرهم بهم، وتوضيح وبيان الجديد الذي قدّمه في توجيه مسائل المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
وقد اقتضت طبيعة الدراسة في هذا البحث أن ينظم في مقدمة، وتمهيد، وثلاث مباحث وخاتمة.
أما المقدمة فاستمتعت على أهمية الموضوع، وسبع اختياره، ومنهجه، وخطته.
وأما التعريف فشمل على التعريف بالإمام محمد الطاهر بن عاشور، من حيث اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ومناصبه، وأشهر مؤلفاته، ووفاته، والتعريف بتفسيره وبيان منهجه فيه وسبع تأليفه، وموقفه من آيات المتشابه اللفظي.
وأما البحث الأول فتحدث فه عن مفهوم التوجيه، والتعريف المتشابه، وأنواعه والمصنفات في المتشابه اللفظي، وأسباب التأليف في المتشابه اللفظي، وحكمه وجود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
ثم جاء البحث الثاني بعنوان: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي.
المطلب الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين.
ثم جاء البحث الثالث بعنوان: التجديد في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور.
ثم الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.
العنوان:

التعريف بمحمد الطاهر بن عاشور

الاسم ونسبه:

هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، وكان يوصف
وينبغي: الشيخ الأستاذ، ولد بضاحية المرسى بالعاصمة التونسية، في أسرة;
تنتمي إلى أشراف المغرب الأمازيغي، استقرت في بلاد الأندلس.

مولدته ونشأته:

ولد في صاحبة المرسى، قرب العاصمة التونسية سنة 1296 هـ -
1879 م، ونشأ في بيت عريق، اشتهر بالعلم والشرف والصلاح، تعلم في صاحبته
التي نشأ فيها القرآن حظا وتجويدا وقراءات، كما تعلم علوم العربية.

التحق الشيخ محمد الطاهر بجامع الزيتون سنة 1310 هـ - 1893 م، وهو
في الرابعة عشر من عمره، وقد كانت الزيتونه مسجدا من المساجد العتيقة
التي نشرت العلم على نطاق واسع وتلقي في علوم القرآن والقراءات والحديث,
والفقه المالكي وأصوله والفرائض، والسير، والتاريخ، والنحو واللغة والأدب
والبلاغة، وعلم المنطق، واستمر حتى انتهى من دراسة في أرقى مسّتويناتها،
وتخرج من الزيتونه ليعمل في مختلف المناصب الدينية.

وقد أسهم الشيخ - رحمه الله - إسهاما فعالا في الحركة الوطنية بتونس،
وكان زميلا من زملاء الجهاد مع الشيخ الأكبر محمد الخضر حسين التونسي الذي
تولى مشيخة الأزهر بمصر. وكلاهما كان عالما ممتازا، وعلى إيمان قوى، ودخلا
السجن، ونالا من المتاعب في سبيل وطنهما ودينهما الكثير.
مناصبه:

تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزياتونة، كما تولى منصب القضاء سنة 1267 هـ، ثم الفتيا سنة 1277، كما كان نقيباً لشرف تونس، كما كان عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة.

أشهر مؤلفاته:

ألف ابن عاشور عشرات الكتب في أنواع العلوم المختلفة، فألّف في التفسير، والحديث والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم، ومن أشهر وأهم مؤلفاته: تفسيره المسمى "التحرير والتنوير" و"مقاصد الشريعة"، والوقف وأثاره في الإسلام، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و"كشف المغطا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، و"أصول الإنشاء والخطابة"، و"النظر الفضبي عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح" و"تحقيق ونشر" ديوان "بشار بن برذ" وغيرها من الكتب.

وفاته وثناء العلماء عليه:

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس سنة (1393 هـ)، الموافق (1973 م) عن عمر يناهز الـ (98) عاماً.

قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين: "شجاع الجامع الأزهر...رحمه الله..."، والبستاذ، فصاحبة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كتبت أرى فيه نسناً لهجهة الصدقة... وهمة طمّاحة إلى المعايي، وجدًا في العمل لا يمسه كلّ، وملاحظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجتماع ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعفريته في العلم.

101
وعصفة العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – قايلًا: "علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبّحّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال واسع الثراء من كنوزها، فسيّح الذرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الإطلاع على المنقول منها، أقرأ، وأفاد، وتخرج على طبقات ممتازة في التحقّق العلمي.

رحم الله ابن عاشور، وجزاه خير الجزاء على ما قدم من علم نافع، وتجاوز عنه بإحسانه وكرمه.

التعريف بتفسيره وبيان منهجه فيه:

إن تفسير محمد الطاهر بن عاشور المسمى بالتحريج والتنوير اسمه الكامل: "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، في تفسير الكتاب المجيد". ثم سمي اختصاراً "التحريج والتنوير"، إذ يقول عنه في مقدمة تفسيره: وسميته تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد.

واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير.

وتفسيره هذا من أقيم وأفٌد التفاسير المعاصرة، أمضى مؤلفه في تفسيره قرابة الأربعين عاماً. إذ يقول: وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني


(2) التحريج والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور/88 نشر الدار التونسية – تونس – ط سنة 5384 م.
عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمئة وألف، فكانت مدة تأليفه تسعًا وثلاثين سنة وستة أشهر.

وهو تفسير يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وقد اشتمل هذا التفسير على الكثير من الفوائد واللطائف، وأكثر فيه من دراسة الكثير من المسائل في شتى العلوم سواء كانت شرعية أو لغوية أو بلاغية أو غيرها من فروع العلم، كما كان حريصا على بيان مناسبة الآيات بعضها لبعض.

وقد بدأ - رحمه الله - في تفسيره بمقدمة ذكر فيها بعض المباحث في علوم القرآن، كما ذكر فيها مقصودة من هذا التفسير، وأبان عن منهجه في تفسيره، إذ يقول: وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجهه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت - أيضا - ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.... ولم أغادر سورة إلا بنت ما أحيط به من أغراضها لأن لا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روضة أنسجاته وتحجب عنه روائع جماله.

واهتمت بتبني معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يعد فيه المطالع تحقيقاً مراد، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فبئى بذلك الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفسير، ففيه أحسن ما في التفسير، وفيه أحسن مما في التفسير.

سبب تأليفه للتفسير:

أما عن سبب تأليف محمد الطاهر بن عاشور لهذا التفسير، فقد ذكر في مقدمة كتابه أن تأليفه التفسير كان أمنية عندته تراوده بين الحين والآخر، إلى أن عقد العزم على بدء تأليفه بعد توليه الإفتاء، حيث يقول في تمهيدي لهذا التفسير:

(1) التحرير والتنوير 3/97
(2) التحرير والتنوير 8/1
كان أكبر أمنيتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثوق شديد العري من الحق المتين، والحالى لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والأخذ قوس البلاغة من محل نباعتها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره.

 موقفه من آيات المتشابه اللفظي:

بعد كتاب التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور من بين كتب التفسير من أهم مصادر توجيه المتشابه اللفظي لأبات القرآن الكريم، فقد اهتم ابن عاشور اهتماما بالغا بالمشابهات اللفظية، فكان دائم التوجيه لكثر من الآيات المتشابهة لفظيا وتأثر كثيرا بأراء العلماء السابقين ممن كان لهم مصنفات واهتمام بهذا النوع من العلم فتأثر بالخطيب الإسكناني في كتابه درة التنزيل، وإلكرماني، وباين الزبير الغرناطي وبغيرهم من أصحاب المصنفات في توجيه المتشابه اللفظي، كما تأثر بعلماء التفسير السابقين ممن كان لهم اهتمام بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، كالزمخشري، والرازي، وأبي حيان، والبيضاوي وغيرهم من علماء التفسير، كما يظهر هذا جليا أثناء تناول المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بالعلماء الذي اهتموا بهذا النوع من العلم، الذي هو الموضوع الأساسي لهذا الدراسة التي بين يدي.

---

(1) التحرير والتنوير 5/1
المبحث الأول

مفهوم التوجيه في اللغة:


ووفي مقاييس اللغة: "الواو والجيم والهاء أصل يدل على مقابلة الشيء، وجهت الشيء جعلته على جهة واحدة، وأصل جهته وجهته".

وجه في لسان العرب: "وجه الكلام السبيل الذي تقصد به، وصرفت الشيء عن وجهته، أي سنه، وجهة الأمر وجهته: وجهه، والوجهة جميعاً: الموضوع الذي تتوجه إليه وتقصده، وظل وجهة أمره أي قصده، والوجهة: القبلة، وشبهها في كل وجهة: أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه.

ويقال: وجه الإنسان محياه، والوضعة المقابلة، وقيبه وجاهه ومواجهة، قابله وجهها بوجهه. فالفعل (وجه)، والفاعل (موجه) والشيء الذي وقع عليه فعل الفاعل (موجه) والفعل برمته (توجه).

فالوجه والتوجه في استعمالات اللغة تدور حول مفاهيم السبيل والقصد والجهة والموضوع الذي تقصده وترىده، فهذه أكثر المعاني استعمالاً.

---

(2) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الراري مادة: وجهه 88/6 – تحقيق: عبد السلام محمد هازون – نشر دار الفكر – سنة 1399ـ ـ 1979م
مفهوم التوجيه في الاصطلاح:

عرفه الجراني بقوله: إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم،
وقيل على وجه ينافي وجه الخصم. (1)

وقد عرفه الدكتور عبد العزيز الحربي بقوله: "حقيقة التوجيه في العلوم هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما من قرآن أو حديث أو شعر أو غير ذلك يقف الشرح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على غير الوجه الصحيح أو قد لا يفهم أصلاً، أو يفهم مع انفصال في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشرح ويسير تلك الصعوبة ويحل كل غموض. (2)

فالتوجيه يعني تفسير وتوضيح ما أشكل فهمه بسبب غموض أو صعوبة تعلقت بهذا الشئ الذي يراد تقريبه، حتى يفهم على وجهه الصحيح، وتزول شبه من فهمه على وجه يحتمل الخطا.

(1) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجراني ص 69 - نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - طبعة أولى سنة 1414هـ - 1993م
(2) توجيه مشكل القراءات العشرية الفارشية لغة وتفسيرا وإعراباً لعبد العزيز بن علي الحربي ص 26. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين - سنة 1417هـ.
المبحث الأول: تعريف المشابه:

يطلق المشابه في اللغة على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضه بعضًا، وعلى ما يلتبس من الأمور.

فالشين، والباء، والهاء، أصل واحد يدل على تشبيه الشيء وتشابه له، ووصفاً، والمشابهات من الأمور: المشابلات، واشتتة الأمور إذا أشكنًا، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا وهذا دخل في شكـل هذا.


وشبه عليه غلب عليه الأمر حتى أشتبه بغيره، فالمشابه من الفعل اشتهـب أو تشبه، أي التبس فلم يميز ولم يظهر، نقول اشتهبت الفنطة، أي التبست على المصلى ولم تبد واضحة ولا مستوية.

ثم لما كان من شأن المشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهدي الإنسان إليه بالمشابه، إطلاقًا لاسم السبب على المسبب، ونظيره

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: شبه 3 / 243.
(2) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيد صديقه المروسي، 4 / 193.

المشكل سمي بذلك لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاعبه، ثم يقال لكل ما غمض وإن لم يكن ظلخسا من هذه الجهة متشابه.\\n\\nومع ذلك، تعريفات المعنى المتشابه، يظهر أن المتشابه لـ\\nمعنيان:\\n\\nالأول: بمعنى المماثلة، وقد جاء ذلك في وصف القرآن الكريم، قال - تعالى - (الله نزل أحسن الحديث كتبها متشابها مثاني تقشر منه جلود الذين يخشنون رهبان ثم نزين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)\(^1\) أي متشابهة أجزاها ومماثلة في فصاحة ألفاظها وشرف معانيها.\\n\\nالثاني: المتشابه بمعنى الالتباس أو الإشكال، فإن الأمور لا تشتبه إلا بوجود التماثل.\\nقال ابن قتيبة: أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاعبه.\(^4\) ثم ربطوا التشابه بالالتباس والشك، وإن لم يكن حاصلا في الأمر أو الشيء بن الشربه بالغير.\\n\\nوأشكال الأمر: التبتس، وأمور أشكال: ملبسية، وبينهما أشكلة: أي لبس.\\n\\nومن ذلك يقال: أمر متشكل، كما يقال: أمر مشتبه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا.\\n\\n---\\n\\n\(^{1}\) مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي 1387 نشر دار احياء التراث العربي - بيروت - ط ثلاثة - سنة 1430 هـ.\\n\\n(2) سورة الزمر، آية: 33.\\n\\n(3) التحرير والتنوير 2385/3.\\n\\n(4) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص 68 تحقيق: إبراهيم شمس الدين - نشر دار الكتب العلمية - بيروت.
الحمراء: الحمراء تختلط بالبياض، ومنه قيل للأمر المشتبه: مشكل. وأشكل
على الأمر: اختلط. (1) فالتشابه لغة يستعمل في معنى المماثلة والمشابهة
والانتباس.

تعريف المشابه في الاصطلاح:
المتشابه في اصطلاح المفسرين: ما تشابهت ألفاظه الظاهرة مع اختلاف
معنى. أي أن يشبه اللفظان في الظاهرة ولكن يختلفان في المعنى، كما قال الله
تعالى - في وصف الجنة (وأنوا به متشابهاً) (2) أي متفق المناظر ومختلف
الطعوم. (3)
وعرفه الرازي بقوله: ما أشكل تفسيره لمتشابهته بغيره، إما من حيث
اللفظ، أو من حيث المعنى. (4) وهو بهذا يشير إلى نوع المشابه.

تعريف المشابه اللفظي:
من أجل وضع تعريف محدد ودقيق للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، لا
بد من بيان أنواع المتشابه في القرآن، فمتشابه القرآن حين يذكر فإنه يطلق على
نوعين من المتشابه في اصطلاح المؤلفين في علوم القرآن، وهما:
الأول: المتشابه المعنوي، وهو يقابل المحكم، وقد اختلف العلماء في تعريف هذا
النوع وبيان المراد منه في القرآن الكريم.

_____________________
(1) لسان العرب، مادة: شكل 357/11
(2) سورة البقرة، آية: 25
(3) مفاتيح الغيب للرازي: 138/7
(4) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرازي الأصفهاني: 443، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي - نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق
بيروت - طبعة: أولى 1412 هـ.
فقيل في تعريفه: هو ما لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى بيان برده إلى غيره، فتارة يبين بذلك وثارة بذلك، لحصول الاختلاف في تأويله. والمحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان.

وقيل في تعريفه: إن المتشابه ما احتمل وجوها، والمحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه.

وقيل: المتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استتأثر الله بعلمه، والمحكم ما علم العلماء تأويله.

وخلاصة هذه التعريفات يفيد أن المتشابه المعنوي المراد به الغامض المشكل أو ما استتأثر الله - سبحانه وتعالى - بعلمه كعلم المفتيات، وعلم الساعة، أو أنه ما التباث فهم المراد منه، بحيث اختلف ظاهره عن المعنى المراد به.

وقد تناوله الزركشي في البرهان في النوع السادس والثلاثين (معرفة المحكم من المشابه) كما تناوله السيوطي في الإتقان، وفي معترك الأقران، وفي التحبير في علم التفسير.

وأشهر المؤلفات في هذا النوع: كتاب مشكل القرآن لابن قتيبة المتوفي ٣٧٥، وكتاب: حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي المتوفي ٦٥٥، وكتاب: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المتوفي ٥٤٠.
والتصنفات في هذا النوع - المتشابه المعنوي أكثر من التأليف في المتشابه النصي، حتى صار هذا النوع هو ما يتباذل إلى الأفهام عند إطلاق مصطلح "متشابه القرآن" دون النوع الآخر المتشابه النصي.

المتشابه النصي: المتشابه النصي، والمراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى واساليب متنوعة، تقديماً وتأخيراً، وذكراً وذفنا، وتعريفاً وتكريماً، وإفراضاً وجمعنا، وإيجازاً وإثباتاً، وإفلاساً وصرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى و نحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام، لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يذكر إلا من آتاه الله، وما وافهما لأسرار كتابه، و هي حق كنز ثمين من كنز إعجازه، وسر من أسرار بيانه.

وطرف الزركشي يقوله: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفاصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والألفاظ، ومراده بالقصة: الأمر والموضوع مطلقاً، سواء ورد الاختلاف في أثناء القصة القرآنية أو غيرها.

مقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل و غزوة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسركافي / ٥٥٥ - دراسة و تحقيق و تعليق: د/ محمد مصطفى آيدين – نشر: جامعة أم القرى - طبعة أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(١) مقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل و غزوة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسركافي / ٥٥٥ – دراسة و تحقيق و تعليق: د/ محمد مصطفى آيدين – نشر: جامعة أم القرى - طبعة أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١١٢/١

(٣) مقدمة تحقيق كتاب درة التنزيل و غزوة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسركافي / ٥٥٥ – دراسة و تحقيق و تعليق: د/ محمد مصطفى آيدين – نشر: جامعة أم القرى - طبعة أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
فالتشابه اللفظي عبارة عن الآيات التي فيها ألفاظ متماثلة أو متشابهة، وفيها زيادة في بعض الأحيان، وفيها نقص في أحيان أخرى، وفيها تقديم في آية وتأخير في آية أخرى، أو تعريف في آية وتكير في آخرى إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف، وتكون هذه الاختلافات لأعراس بلاغية أو لأي معيّن آخر على حسب ما يفتح الله تعالى - ي على من يشاء من عباده.

موضوع علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

إن موضوع هذا العلم هو الآيات القرآنية باعتبار ما فيها من تشبيه لفظي.

إذ يتعرف به على تلك الظاهرة التي امتاز بها القرآن الكريم، من تكرار بعض آياته في عدة مواضع بأشكال متشابهة وأساليب متنوعة: تقديما وتأخيرا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتكيرها وذكيرا وتأثيثا وإفرازا وإطناها، إلى غير ذلك من الأنواع التي يتناولها هذا العلم، مما قد يظنه البعض تكرارا خاليا عن الفوائد والأسرار، وهو لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.

أنواع المتشابه اللفظي القرآن الكريم:

أختلفت عبارات المصنفين في توجيه المتشابه اللفظي حول بيان أنواعه وأقسامه، حيث إن كل محاولة لحصر أنواع المتشابه تعد محاولة اجتهادية، جاءت على حسب الترتيب الذي سار عليه كل مؤلف في كتابه، فوجد أن حصر أنواع المتشابه اللفظي مما يتعرّد، فسأكتفي بذكر أمثلة للمتشابه اللفظي يفهم من خلالها أنواعه وأقسامه.
الاختلاف في اختبار الصيغة:
مثال ذلك قوله - تعالى - في سورة هود (وما كان ربّك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون) (1) مع قوله - تعالى - (وما كان ربّك مهلك القرى حتى بعث في أمّها رسولًا يتلوا عليهم آياتنا وما كنت مهلك القرى إلا وأهلها ظالمون) (2) حيث جاء التعبير في الآية الأولى (ليهلك) بالفعل المضارع في الفعل المضارع وفي الثانية (مهلك) بالاسمية.

ومن الاختلاف في صيغة الماضي والمضارع، ما جاء بصيغة المضارع في الأفعال في قوله - تعالى - (وللدار الآخرة خير للذين يتقون ألا تغفلون) (3) وفي الأعراف في قوله (والدار الآخرة خير للذين يتقون ألا تغفلون) (4) مع ما جاء بصيغة الماضي في سورة يوسف (والدار الآخرة خير للذين أتقوا ألا تغفلون) (5).

الاختلاف في الإفراد والجمع:
من الاختلاف بين الآيات المتشابهة في الإفراد والجمع، ما جاء في سورة البقرة في قوله - تعالى - (و قالوا لن تمستنا النّار إلا آيامًا معدودة) (6) فقد جاءت لفظة (معدودة) وصفًا مفردًا لأيام وفي آل عمران جاءت جمعًا (ذلك ب أنهم قالوا لن تمسنا النّار إلا آيامًا معدودات) (7) والموصوف في المكانين واحد وهو أيام.

---

(1) سورة هود، آية: 117
(2) سورة العصر، آية: 59
(3) سورة الأعراف، آية: 32
(4) سورة الأعراف، آية: 121
(5) سورة يوسف، آية: 106
(6) سورة البقرة، آية: 80
(7) سورة آل عمران، آية: 24
ومن ذلك ما تشابه في سورة الأعراف في قصة صالح، وشعبة - عليه السلام - مع قومهما، حيث جاء في قصة صالح (فَوَتُوهُ عَنْهُمْ وَقَالُ يَا قَوْمِ لَنْ أَلْبَغْ نَكَّةِ رَبِّي وَنَصْحَتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) 1 فجاء لفظ الرسالة مفردا، بينما جاء لفظ الرسالة جمعا في قصة شعبة، قال - تعالى (فَوَتُوهُ عَنْهُمْ وَقَالُ يَا قَوْمِ لَنْ أَلْبَغْ نَكَّةِ رَسَالَاتِ رَبِّي وَنَصْحَتْ لَكُمْ فَكَيْفَ أَسَىٰ عَلَى قُوَّمِكَافِرِينَ) 2

الأختلاف في التذكير والتأنيث:
مثال ذلك ما جاء في سورة النساء في قوله - سبحانه وتعالى (وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحَصَّناتٍ غَيْرِ مُسَافِحاتٍ) 3 فجاء الوصفان بالتأنيث، بينما ورد الوصفان بالذكر في سورة المائدة قال - تعالى (إِذًا أَنْبِيَّتُونَ أَجُورَهُنَّ مُحَصَّناتٍ غَيْرِ مُسَافِحاتٍ) 4

الأختلاف في التعريف والتنكر:
مثال ذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله - تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّيْ أَجْعِلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) 5 حيث جاء لفظ "بلدًا" بالتنكر في دعاء إبراهيم - عليه السلام - بينما جاء اللفظ معرفا بالألف واللام في سورة إبراهيم في قوله - تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّيْ أَجْعِلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) 6

---
(1) سورة الأعراف، آية: 79
(2) سورة الأعراف، آية: 93
(3) سورة النساء، آية: 205
(4) سورة المائدة، آية: 5
(5) سورة البقرة، آية: 126
(6) سورة إبراهيم، آية: 35
الأختلاف في اختيار الحرف:
من ذلك قوله - تعالى - في سورة البقرة(وَقَالَتْ نِسَاءٌ أَداَمُ أَمَّهُ إِنَّكَ أَنتَ وَزُوْجُكَ - الجَنَّةُ وَكُلُّ مِنْهَا رَعِيدًا حَيْثُ شَنَّتَما -) (1) حيث عطف لفظ "كَلَا" بالواو دون الفاء، بينما جاء في سورة الأعراف العطف بالفاء دون الواو (وَيَا أَداَمُ أَمَّهُ إِنَّكَ أَنتَ وَزُوْجُكَ - الجَنَّةُ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شَنَّتَما). (2)
ومن ذلك قوله - تعالى - في سورة الأنعام(قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْتَذِبِينَ) (3) حيث ورد العطف بـ(ثُمَّ) بينما جاء العطّف في آية النمل بالفاء(قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجَرِّمِينَ). (4)

الأختلاف في الذكر والحرف:
من ذلك الآيات التي جاء فيها قوله - تعالى - (من تحتها) كقوله - تعالى - (من تحتها) كقوله - تعالى - (أنَّ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (5) فكلما ورد في القرآن الكريم جاء بحرف الجر (من) إلا في آية سورة التوبة، فإنها جاءت بحرف حرف الجر (من) والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار). (6)

الاختلاف في التقدم والتأخير:
من الآيات المشابهة في موضوع التقدم والتأخير قوله - تعالى - (إِنَّ الذَّينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادَوْا وَالْمُصَلِّيَّ وَالْمُعَلِّمَيْنَ مِنْ آُمَنْ بِاللهِ وَلِيْلَيْمَ الْآخِرِ وَعَمَّلَ) (7)

(1) سورة البقرة، آية: 35
(2) سورة الأعراف، آية: 19
(3) سورة الأنعام، آية: 11
(4) سورة النمل، آية: 29
(5) سورة البقرة، آية: 34
(6) سورة التوبة، آية: 100
العدد الخامس والعشرون لعام ١٣٤٢
الجزء الثاني

جاء في سورة الحج تقديم الصابئين على النصارى (إن الّذين آمنوا والّذين هاذوا والصابئين والنصرى والمجلس).

الاختلاف في الفصل والوصول:
مثال ذلك ما جاء في قوله - تعالى - في سورة البقرة (وأذّنُ جنّاكم من الّذين يبعثون أبناؤكم ويستحيون نساءكم) حيث فصبت جملة (يثبّتون أبناؤكم) عما قبلها، بينما جاءت بالوصل بالواو في آية سورة إبراهيم (إذ أنتوكم من الّذين يبعثون مسومةكن سوء العذاب ويذبحون أبناؤكم ويستحيون نساءكم).

ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة في قوله - تعالى - (تعالى - تغفر لكم خطاياكم وسنريद المحسنين) فقد جاءت الآية هنا بالوصل، بينما جاءت في الأعراف بالفصل (تغفر لكم خطيئتكم سنريدي المحسنين).

المصنفات في المشابه اللظفي القرآن الكريم:
المصنفات في هذا النوع من أنواع علم القرآن، على اتجاهين:

الاتجاه الأول:
اعتني فيه من أفرده بالتأليف بسرد الألفاظ القرآنية الواردة في صور شتى من حيث الترميم والتأثير، والزيادة والنقص، والتعريف والتنكير، والجمع والأفراد، ونحوها من الصور التي يمكن حصر المشابه فيها.

(1) سورة البقرة، آية: ١٦٢
(2) سورة الحج، آية: ١٧
(3) سورة البقرة، آية: ٤٩
(4) سورة إبراهيم، آية: ٦
(5) سورة البقرة، آية: ٨٨
(6) سورة الأعراف، آية: ١٦١
وحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج
مجلة علمية محكمة

ومن هذه المؤلفات: متشابه القرآن على بن حمزة الكسائي (1) ت 187 وحل الآيات المتشابهات لمحمد بن الحسن بن فورك (1) ت 406، وهدياً المرتب تعلّى بن محمد السخاوي (3) 1443، وهذه الكتب وغيرها مما ألف على هذا النحو أشبه ما تكون بمعاجم لجمع الآيات المتشابهة من غير توجيهه، وبيان لأسباب الاختلاف بين الآيات.

1) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأنصاري الكوفي، أبو الحسن الكسائي، من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراه، وتعلم بها، وهو واحده السبعة وإمام النجاة. انتهى إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. توفى بالري، عن سبعين عاما. ينظر ترجمته معرفة القراء الكبار على الطباقه والأعصار لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز الذهبي ص 273 - نشر دار الكتب العلمية - ط أولى - سنة 1417 هـ - 1997 م، غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزيزي 530/1 - نشر مكتبة ابن تيمية.

2) هو: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الأصبهاني الشافعي أبو بكر. أشتهر ببراعته في كثير من العلوم، فهو الإمام المتكلم، المفسر، الفقيه، الأصولي، النحوي، الأديب، له ما يقرب من المائة مؤلف في أصول الدين، وأصول الفقه، ومعاني القرآن. توفي سنة 637 وأربعين سنة. ينظر ترجمته في الواقعي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصقفي، ح 644/4 تحقيق: أحمد الأزناوي وتركي مصطفى - نشر دار إحياء التراث - بيروت - نشر: 1402 هـ - 2002 م.

3) هو: علي بن محمد بن عبد الصمد العلامة علم الدين أبو الحسن الهمدانى السخاوي المصري شيخ القراء بدمشق، ولد سنة 674 أو 675، والد سنة 677 أو 678، ومنه صهباً بمصر، سكن دمشق، وتوفي فيها. شيخ مشايخ القراء بدمشق، وقرأ القراءات بالديار المصرية، من كتبه: جمال القراء وكمال القراء، منظومة في متشابه كلمات القرآن، وتوفي سنة 737 أو 738، وتوفي سنة 738، وست سنة. ينظر ترجمته في الواقعي بالوفيات 2/2044، غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزيزي 569/1.
الاتجاه الثاني:

مصنفات قصد منها واعدها تفسير الآيات المشكلة من حيث اللفظ مع نظائر لها وسلكوا طريقة التوجيه والتعليم العام لهذه الآيات، والتي غالباً ما رتبها حسب ورودها في سور القرآن.١

ومن أهم وأقدم المصنفات التي وصلت إليها من هذا النوع:

١. كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب محمود بن عبد الله البرازي المشهور بالإسكافي المتوفي ٤٠٤ هـ ١٤٠٣م

٢. البرهان في توجيه مشابه القرآن لمحمد بن حمزة نصر الكرماني المتوفي ٥٠٠ هـ ١٤٩٨م

(١) متشابه القرآن - مفهومه - موضوعه - حكمته وفواده أ.د / نادية محمود حسن الأزهرى ص ٣٩ ط أولى - سنة ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م نقلاً عن علوم القرآن بين الذهان والإتقان لـ/ حازم عبد حيدر ص ١٥١.

(٢) هو: مُحمَّد بن عبد الله اللَّقَوْيَيْي صاحب التصانيف، كان عالماً بالأدب واللغة، من أهل أصبهان، لقب بالخطيب الأصبهاني نسبة إلى أصبهان وهو موطنه الأصلي، والبرهانى نسبة إلى البرهان، وهي التي تولى فيها الخطابة، أما الإسكافي فنسبته إلى الأسكندرية وهي حرفية كان يفعل بها، من كتبه: درة التنزيل وغرة التأويل، ومبادئ اللغة، وندق الشعر، ينظر ترمجمه في الواقي بالوفيات ٣/٢٧١، بغية الوعى في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١٤٩٨/١ ١٤٩٨/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم نشر المكتبة المصرية - لبنان / صيدا.

(٣) هو: مُحمَّد بن حمزة بن نصر الكرماني النَّجْوَي، قال ياقوت: هو تاج القراء، وأحد العلماء الفهماء النبلاء صاحب التصانيف والفضل. كان عبداً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، من تصانيفه: البرهان في توجيه مشابه القرآن، نكر فيه الآيات المشابهات التي وقع تكرارها في القرآن العظيم، وسببها وفائدتها، وحكمتها. ينظر ترمجمه في بغية الوعى في طبقات اللغويين والنحاة ٣/٢٧٧، بطاقات المضدين لأحمد بن محمد الأدنى، وص ٤٠ - تحقيق: سليمان بن صالح الخزي نشر مكتبة العلم والحكم السعودية ط - أولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.
3. ملاك التأويل القاطع لذوي الإتحاد والتعطيل، وتوجيه المتشابه اللفظي من
أم النتريل لأحمد بن إبراهيم الزبير الغزني المcontresي 08.07
(1)
4. كشف المعاني عن متشابه المثنى للقضاء بدر الدين بن جماعة.
(2)
5. فتح الرحمن يكشف ما يلتبس في القرآن لأبي حيى زكريا الأنصاري
المcontresي 236.09.05
(3)

(1) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغزني، أبو جعفر، محدث مؤرخ، من أبناء
العرب الداخلين في الأندلس. انتهى إليه الرياسة بها في العربية، ورواية الحديث،
tلفظ، وأصول. من تصنيفه: ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل، والبرهان
في ترتيب سور القرآن. توفي سنة 787 م، وسماحه. تزوجته في البدر الطالع
بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني 04، 01
نشر
دار المعرفة - بيروت، فرس الفهارس والألفاظ ومعجم المعامرة والمشيخات والمسلمات
لمحمد عبد الحفي، ابن عبد الكريم بن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعد الحفي الكتاني

(2) هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جمعة الكتاني الحموي، شيخ الإسلام
وقاضي القضاة في الشام ومصر، ولد في حماة وعاش فيها، وعاش
فترة بدمشق ومصر، وكان وافر التأليف، فالتفسير، وعلوم القرآن، والفقه،
والأخلاق، والتاريخ، والنحو وغيرهما. له تصنيف، منها: المنهاج الروي في الحديث
النبوى، وكشف المعاني في المتشابه، مات في مصر سنة ثلاث وثلاثين وسماحه. تزوجته
في أعوان العصر وأعوان النصر لصالح الدين خليل بن أبى الحمدي 04، 02
نشر: دار
الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا - ط أولى 1418 هـ -
1998 م. م، معجم المؤلفين لعصر رضا كحالة 08.01

(3) هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكلي المصري الشافعي، أبو حيى:
شيخ الإسلام، قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكلي - بشرقيه مصر - وتعلم في
القاهرة وكس فلسط، سنة 1967 ه، نشأ في قريه معدما، له تصنيف كثيرة، منها: فتح الرحمن
وثيقة الباري على صحيح البخاري، ونصاب في سنة 04.02. تزوجته في الضعية العام لاهل
القرن التاسع لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن
عثمان بن محمد السخاوي 03/4، 01
نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، الأعلام
لزكرلي 07/3
الدراسات الحديثة المتعلقة بموضوع المتشابه اللفظي:
وجدت دراسات علمية حديثة، تناولت موضوع المتشابه اللفظي من جوانب مختلفة، ومن هذه الدراسات:
1. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم للدكتور محمد بن علي الصمام، ذكر فيه مؤلفات العلماء في المتشابه اللفظي، وناقش فيه عدة مسائل في عشرة مواضع للآيات المتشابهة في القرآن الكريم.
2. متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والرغناني للدكتور/ محمود حسنين مخلوف.
3. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية - إعداد: صالح بن عبد الله بن محمد الشثري، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لفرع البلاغة في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة - وقد نوقشت عام 1412 هـ، وهي عبارة عن دراسة لتراث أهل العلم في توجيه المتشابه اللفظي.
4. التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي - رسالة ماجستير للباحث: عابض بن مبارك الحربي - جامعة الملك عبد العزيز، تناول فيها توجيهات الخطيب الإسكافي، ودرس مسائل التوجيه عند، وبين فضله في السباق في مجال التأليف في المتشابه، وما تمتزج به توجيهاته.
5. ابن أبي الإصبع المصري وجهوده في المتشابه القرآنى – للدكتور/ يوسف بن عبد الله الأنصاري، بين فيه جود ابن أبي الإصبع في توجيه الآيات المتشابهات في القرآن الكريم.
8. أثر دلالة السياق في توجيه المشابه اللفظي في القصص القرآنية دراسة

تطبيقيّة على آيات قصص نوح، ووهد، وصالح، وشعيب، وعليهم السلام، رسالة ماجستير للباحثة تهاني بنت سالم بن أحمد - جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين.

أسباب التأليف في المشابه اللفظي:
كانت هناك جملة من الأسباب التي دفعت أصحاب المصنفات في توجيه المشابه اللفظي للتصنيف في هذا العلم:

1. أهمية موضوع هذا العلم - علم المشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه - إذ إن موضوعه آيات القرآن، فهو يبحث في الآيات المشابهة في القرآن الكريم ويعمل على توجيهها ورفع الإشكال الظاهر عنها.

2. الرد على المشكّين والطاقعين في القرآن بسبب ما فيه من هذا التشابة والتكرار الذي قد تخفي حكمته على أحد الناس، فكان في التأليف في مشابهات القرآن عن الرد على المشكّين الذين يطعنون في القرآن.

ومما يوضح ذلك أن ابن الزبير الغرناطي جعل هذا المقصّد جزءًا من عنوان كتابه، حيث سماه: ملوك التأويل القطاعي ذوي الإلحاح والتعطيل بتوجهه المشابه اللفظ من آية التنزيل.

3. الإجابة عن بعض الإشكالات، وحل بعض الأسئلة، التي تعرض لها بعض المؤلفين من مسائل المشابه اللفظي في القرآن.

وفي ذلك يقول ابن جماعة: وافق إلقاء دروس في التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثه من النفاس، وربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها الجميلة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألمت به في أسفارها المسطورة.. فتحلى.
تلك الأسئلة بما يفتح الله به إما منقول أو غير منقول، وقد استخرت الله — تعالى — في ذكر أئمة ما على الخاطر منه باختصار. (1)

4. من أسباب التأليف في المشابه اللفظي في القرآن الكريم: إبراز وجه من أوجه الإعجاز البلاغي — البياني — للقرآن الكريم.

وفي ذلك يقول ابن جماعة في مقدمة كتابه: "قد علم أن القرآن نزل بأفضل لغات العرب وكلامها، وتضمن فنون أنواع فصاحتهما وأقسامها، توسعتاً لمجالهم في معارضة شيء منه إن قدووا، وبيانًا لعجزهم عن الإثبات بِمَثْل ذِراه ولو تسووا. فلذلك تنوّعت موازاته، وتشعبت مقاصدها، وعتمت فواندها، وناسبت ألفاظه مواضعها، وصادفت فصاحته مواقعها. وسألتك — إن شاء الله — بعض ما يظهر به ما خفي من ذلك، سالكًا في إيراده أقرب المسالك". (2)

5. من مقاصد التأليف في المشابه اللفظي، أن فيه حثاً على زيادة التفكير والتذبب في آيات القرآن الكريم، والبحث عن دقائقه وأسراره. يقول الخطيب الإسكافي: "فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرین، وفتشت عن أسرار معاني المتأولين المحققین المتبحرین... ففتقن من أكثام المعاني ما أوقع قرفانًا. وليس على الله بأمر منكر مستبّدح أن يحصر خاطر عبد ربي على كنز حكمة في القرآن خيّر، أو يبلغه في لطف من لطائف كلامه حداً، لا يبلغه أحد وإن كان أوحدًا". (3)

---


(2) مقدمة كشف المعاني ص ٨١

ويقول ابن الزبير الغرناطي – أيضاً –: " وإنما حرك إلى هذا الغرض، وألحقه عند من تحلى ولوغًا باعتباره، والذبّر لمجاعه الباهة وأسراره... فحرك من فكري الساكن، وأضربت عن فسحته بالاستدراك بلكن، وأيديت بحول ربّي من مكنون خاطري إلى الظهور، ما أثبته بعون الله وقوته في هذا المسطور". (1)

كما أن قلّة التصنيف في المتشابه النفطي وندرته – وخصوصاً في توجيهه - كانت سبباً في إقدام بعض المؤلفين على التأليف فيه.

حکم موجود التشابه النفطي في القرآن الكريم:

لم يخل موجود التشابه بنوعيه في القرآن الكريم من حکم، فكان من الحكم السامية التي من أجملها أودع الله تعالى التشابه في القرآن الكريم ما يلي:

1. إثبات عجز الإنسان وقصوره، وإقامة الدليل القطع على قدرة الله الخارقة.

وعلمه المحيط بكل شيء، وأنه فوق كل ذي علم علمه، وإذا علم الإنسان بشيء، أو تعلم علمًا إنا هو بفضل ما أفضل الله عليه، قال تعالى - (ولأ يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء). (2)

2. الاختيار والاختبار، وتمييز المؤمن الذي يقبل هذا التشابه بالتسليم والإتقان، فلا يؤولّه تأويل أهل البدع والضلال الذين يتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتن، وهذا ما يشير إلى قوله تعالى - (هُوَ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْكَ الكِتَابُ مِنْ بَعْدِ آيَاتٍ مَّحْکَمَاتٍ هُنَّ أَمْ تَأْوِيْلَ أَوْ أَمْثَالٍ مَّتْنَهَا فَلا تَأْوِيْلَهُ إِلَّا الَّذِيٍّ رَاضِيَّ وَرَاضِحَهُ مَنْ أَيْتَمَّهُ وَأَيْتَمْهُ فَتُقِيمُونَ مَا تَشَابه مِنْ إِبْتِغَاءِ الْفَتَنَّ وَإِبْتِغَاءَ تَأْوِيْلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَهُ الْإِلَابَابُ). (3)

---

(1) مالك التأويل القطع بذوي الإتحاد والتعلق في توجيه التشابه النفطي من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ص 8 – نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

(2) سورة البقرة، آية: 255

(3) سورة آل عمران، آية: 7
3. التعيد بتلاوته، حيث يؤجر المؤمن بقراءة هذا المتشابه وإن لم يعلم حقيقة
والسر الذي انتهى عليه، كما يثبت على قراءة المنوسح حكمة من الآيات.

4. إظهار تفاصيل الناس فيما بينهم وتمييز العالم من الجاهل؛ إذ لو كان القرآن
كله مَحَكَّمًا بحيث لا يخفى على أحد، لما حصل هذا التمييز؛ لأن الكل يمكنه
الوقوف على معناه من خلال ظواهر النصوص.

يقول الإمام الزركشي - رحمه الله تعالى - ومنها: إظهار فَضْل العالم على
الجاهل، ويستدعى علمه إلى المزيد في الطلب في تحصيله، ليحصل له درجة
الفضل، والأنفس الشرفية تشوش لطلب العلم وتحصيله.(1)

5. التعامل مع القرآن بأنه كل لا يجزأ، وذلك برد المتشابه إلى المَحَكَّم، كما قال
 تعالى: (هَوَى الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْكِتَابِ مِنْهُ آيَاتٍ مُّحَكَّمَاتٍ هُنَّ مَآمُ التَّيْبَاتِ وَآخَرُ مُتْشَابِهَاتِهَا) (2) فسمى الله المَحَكَّم بأم الكتاب؛ أي: أصله والمرجع الذي يرجع
إليه عند التشبيه.

وقد نقل الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه الإتفاق عن ابن
الحصار قوله: قَسَمَ الله آيات القرآن إلى مَحَكَّم ومُتشابه، وأخبر عن المَحَكَّم
أنها أم الكتاب؛ لأن إليها تُرد المتشابهات، وهي التي تُعتَمَد في فَهْم مراد الله
من خلقه في كل ما تعيَّنه به من معرفته وتصديق رسله، وامتثال أوامره،
واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات.(3)

6. إظهار تفاصيل العلماء فيما بينهم، فبعض الآيات المتشابهات قد يخفى على
بعض أهل العلم وتنجلي للبعض الآخر؛ إذ لو كان القرآن كله مَحَكَّمًا، لا يحتاج
إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.

(1) البرهان في علوم القرآن 2/75
(2) سورة آل عمران، آية: 7
(3) الإتفاق في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي 3/10 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم –
7. تعظيم أجر العلماء الذين يجتهدون في تفسير هذه المتشابهات، ولا شك أن هذا النوع من التفسير فيه مشقة كبيرة، حيث يبذل المفسر جهده وطاقته ووسعته للوقوف على مراد الله تعالى بهذه الآية، وكما يقال: الأجر على قدر المشقة. يقول الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله تعالى - في تفسيره مفاتيح الغيب: متي كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب. (1)

8. اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر إلى تحصيل علوم كثيرة: مثل اللغة، والنحو، وأصول الفقه مما يعينه على النظر والاستدلال، فكان وجود المتشابه سببا في تحصيل علوم كثيرة. (2)

(1) مفاتيح الغيب 7/141
(2) مفاتيح الغيب 7/142، وينظر متشابه القرآن أ/ نادي محمود الأزهرى ص 82–88
المبحث الثاني:
تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء السابقين في توجيه اثنا المشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الأول:
تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور ب أصحاب مصنفات توجيه اثنا المشابه اللفظي.

إن من أبرز الكتب التي تناولت المشابه اللفظي في القرآن الكريم، واستوعبت الكثير من الآيات المشابهة، واعتذى أصحابها بتوجيه هذه الآيات المشابهة لمحبته في القرآن الكريم خمسة كتب وهي: كتاب دة التنزيل وغرة التأويل للخطيب محمد بن عبد الله الرازي المشهور بالإسكافي المتوفي 640 هـ، والبرهان في توجيه مشابه القرآن لمحمود بن حمزة ناصر الكرماني المتوفي 500 هـ، وملاك التأويل القائع لذوي الإحاطة والتعطيل، وتوجيه المشابه اللفظي من آي الترتيل لأحمد بن إبراهيم الزبير الغرناطي المتوفي 808 هـ، وكشف المعاني عن مشابه المثنائي للقصصي بدر الدين بن جماعة وفتح الرحمن بكشف ما يتبين في القرآن لأي يحيى زكريا الأنصاري المتوفي 696 هـ.

وقد تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتموير عند توجيهه لبعض آيات المشابه اللفظي القرآن الكريم بهؤلاء العلماء أصحاب مصنفات توجيه المشابه اللفظي في القرآن الكريم، فكان يذكر أحيانا توجيهها موافقا لما ذكره جميعا أو ذكره أكثرهم. وأحيانا أخرى يذكر توجيهها اتفصر به أحدهم أو خالص به ما ذكره غيره من أصحاب هذا العلم، فتأثر بالخطيب الإسكافي في الدورة، وبالكرماني في أسراره وبرهانه، وبأبي جعفر الغرناطي في ملاك التأويل، وبال мнائي في كشف المعاني، وأبي زكريا الأنصاري في الفتح، فكان يذكر المعنى الذي تأولوه جميعا أو الذي ذكره أحدهم في مؤلفه ومصنفه.

وإليك بعض الشواهد التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور ب أصحاب مصنفات توجيه المشابه اللفظي في القرآن الكريم في حال اتفاقهم على توجيه.
فمن المواضيع التي تناولها ابن عاشور في توجيه المنشابه اللطفي وجوء
رأيه موافقة لما ذهب إليه أصحاب مصنفات توجيه المنشابه اللطفي ما جاء في
سورة البقرة في قصة إبراهيم - عليه السلام - في قوله - تعالى - (وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا وأجنبي وبني أن تعبد الأصنام) (3)

حيث جاء لفظ "بلدًا" بالتكبير في دعاء إبراهيم - عليه السلام - في سورة
البقرة، بينما جاء اللفظ معرفة في سورة إبراهيم.

فذلك ابن عاشور في توجيهه لهواتين الآتين. أن سيدينا إبراهيم - عليه
السلام - في قوله: "أجعل هذا البلد آمنا ه" دعا بهذا الدعاء قبل الاستقرار حيث
كان المكان قرآ ووديا غير ذي زرع ولا توجد مقومات للحياة فيه. فلفظ "هذا"
في هذه الآية إشارة للمذكر في قوله - تعالى - (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زِرْعٍ عَنْدَ بَيْتِكَ المُحْرَمِ) (4)
وكان ذلك عند ترك إسماعيل وأمه هاجر في الوادى قبل بناء مكة
والبيت الحرام، فدعا عبد بن عبد الله آمنا وآخره أن يصبح المكان بلدا آمنا وان تتوفر فيه وسائل الحياة
والرزق.

أما قوله - تعالى - في سورة إبراهيم "رب أجعل هذا البلد آمنا" فقد كان
هذا الدعاء بعد الاستقرار، وبعد البناء، بعد أن صار المكان بلدا، وبعد عودته -
عليه السلام - إلى مكة.

حيث يقول: ثم إن كان المشار إليه في وقت دعاء إبراهيم أرضا فيها بيت
أو بيتان. فالتقدير في الكلام: اجعل هذا المكان بلدا آمنا أي قرب الطهارة، فيكون

---

(1) سورة البقرة آية: 26
(2) سورة إبراهيم آية: 35
(3) سورة إبراهيم آية: 37
دعاء بأن يصير قرية وأن تكون آمنة... وأما حكايّة دعوته في سورة إبراهيم بقوله: (أجلَّ! هذا البَلدُ آمنًا) فتعلَّك دعوته له بعد أن صار بلدًا.(1) وما ذكره ابن عاشور هو ما ذكره أصحاب مصفات توجيه متشابه القرآن في توجيههم لهذا الموضوع.


وقد وافق الخطيب الإسكافي في توجيهه الذي قال به ابن عاشور - أيضاً - الكرماني، وابن جماعة، والأنصاري من علماء المتشابه.

قال الكرماني: قوله (رب أجعل هذا بلد آمنًا)، وفي إبراهيم (هذا البَلدُ آمنًا) لِأنّ هذا هنا - أي في سورة البقرة - إشارة إلى المذكور في قوله (في يأدا غيَّر ذي زرع) قبل بناء الكعبة، وفي إبراهيم إشارة إلى البَلدُ بعد الكعبة. ويكون (بلداً) في هذه السورة المفعول الثاني و (آمنًا) صفته (وهذا البَلدُ) في إبراهيم المفعول الأول و (آمنًا) المفعول الثاني.(3)

(1) التحرير والتنوير 715/1
(2) سورة إبراهيم، آية: 37
(3) درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي 182/282-283.
(4) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحمد بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ص 78 تحقيق: عبد القادر أحمد عطا - نشر دار الفضيلة.
وقال أبو يحيى الأنصاري: قوله تعالى: (رب اجعل هذا بندا آمنا) فـ؟
قلت: لم تكن البلد هنا وعـ؟ه في إبراهيم؟
قلت: لأن الدعوة هنا، كانت قبل جعل المكان بلداً دائم الأمن في الأول، وبدلاً آمناً في الثاني،(1) وقد وافقهم على هذا المعنى ابن الزبير في أحد قوله،(2) وابن جماعة في كشف المعاني.(3)
ومن المواضيع التي تتناولها ابن عاشور في توجيه المتشابه النفيظي، وجاء
رأيه موافقاً لعلماء المتشابه ما جاء في سورة الأعام في قوله – تعالى – (ولأ تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياكم) (4) حيث قدم رزق المخاطبين على رزق أولادهم المدلول عليه بعطف ضميره عليه، وفي سورة الإسراء قدم رزق الأولاد على رزق المخاطبين في قوله – تعالى – (ولأ تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم) (5)
فيشير ابن عاشور – رحمه الله – إلى أن الخطاب في آية الأعام لـ؟م
قراء حقيقة يهمهم رزقهم أولاً، ثم رزق أولادهم ثانياً، فقدم رزقهم لأنه عندهم أهم، أما آية الإسراء فالخطاب فيها لغير القراء فهم غير مفترفين في الحال، لكنهم يخشون الفقر مستقبلًا فينظر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظلمة القلة المتوقعة أما رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدم رزق الأولاد لأنه

(1) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكرى الأنصاري ص 39 تحقيق محمد علي الصابوني – نشر دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان طبعة أولى 1433 هـ – 1983 م.
(2) ملاك التأويل ص 50
(3) كشف المعاني في المتشابه من المعاني لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين ص 56- 10 تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف نشر: دار الوفاء – المنصورة – طبعة أولى 1410 هـ / 1990 م
(4) سورة الأعام، آية: 151
(5) سورة الإسراء، آية: 31
توجيه التشابه النفي في القرآن الكريم

العدد الخامس والعشرون للعام 1439
الجزء الثاني

أهم؛ وللهجة جاء التعبير في آية الأحداث يقوله: من إملاق "أي من فقر واقع، أنا آية الإسراء فجاء التعبير فيها بقوله: خشيّة إملاق "أي فقر متوقع.
فقل فائل عن علاعون عند تفسيره لآية سورة الأحداث والإملاق: الفقر، وكونه علّة لقتل الأولاد يقع على وجهين: أن يكون حاصلًا بالفعل، وهو المرار هنا، وهو الذي تقتضيه "من" التعبيرية وأن يكون متوقع الحصول كما قال — تعالى — في آية سورة الإسراء (ولما تقتِّلوا أولادكم خشيّة إملاق) لأنهم كانوا ينذرون بناتهم إما للعجز عن القيام بهم وإما لتوقع ذلك.....
وجملة: (نحن نرقكم وإنكم) معتبرة، مستأثرة، علّة للنهى عن قتلهم، إبطالاً لمعذرتهم: لأن الفقر قد جعلوه عذراً لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصح أن يكون داعياً لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدّر رزقهم، فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يجعله قتلهم، وكان الأقدر به أن يكتب له.

وذكر الله رزقاهم مع رزق أبائهم، وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنّه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعاً، كذلك يرزق الأباء، على أن الفقر إنما اعتري الآباء فلم يقتل لأجل الأبناء.

وهذا التوجيه الذي ذكره ابن عاشور هو ما اتفق عليه أصحاب مصنفات توجيه المتشابه النفي.

يقول الخطيب الإسكافي: فَأَمَّا قُوله فِي سِوَرَةِ الأَدْنَام (ئَنَّى نَرَقْكُمْ وَإِبَاهُم) فَلَنَّ قِيلَهُ: (ولَا تَقْتِلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمِّلِاق) أي: من أجل إملاق وإنقطاع مال وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم موتنة غيرهم، فكانه قال: الذي يدعوكم إلىه من حاكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تشفعوا منه فإنه أرزيكم وإيامهم.

(1) التحرير والتنوير ١٥٩٠٠٨/٨/٥٩١
وأما الآية الثانية فإنه قال فيها: (خشية إملاق) والإملاق غير واقع، فكان له بقوله، خوف الفقر على الأولاد، وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم، ثم عن القاتلين: أي لا تقلؤوا لما تخشون عليهم من الفقر، فإن الله يرزقهم وإياكم، فقدم في كل موضع من الموضوعين ما أقتضى تقديمه، وأخر ما اقتضى الموضوع تأخيره.

وقال ابن الزبير في ملائك التأويل في جوابه عن هذا المتشابه: إن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حال قتلهم، فقيل "من إملاق" أي من أجل الاملاق الحاصل ثم قيل لهم: "نحن نرزقكم وإياكم" فقد ترقصون رزقهم - تعالى - لهم لحصول فقيرهم في الحال ليكون أنعم لهم وكأن السياق يشعر بتشقيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكان قد قيل لهم: إنما ترقصون بهم فلا تقلؤوا، فتأكد تقديم كفار العرب وكان وأدغمت البئات خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤونتهما فيما يتوقعونه مستقبلًا فقيل: "خشية إملاق" فجعلت الخشية هي العلية في فعلهم، فانتصبت على ذلك، والمعلول الذئ هو الإملاق لم يقع بعد وضمن - تعالى - لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك الموقت ليرفع ذلك خشيتهم، فللهذا قدم هذا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء. وكان الأهم هنا فقدهم، وجاء كل في الموضوعين على ما يجب ويناسب.

وقال ابن جماعة: قوله تعالى: (ولَتَأْتُوا أُوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِ نَحْنُ نَرْزَقُكُمْ وَإِيَاكُمْ) وفي: "سبحان" (خشية إملاق) الآية؟ جوابه: إن قوله تعالى: (من إملاق) وهو الفقر، خطاب المقلين الفقراء، أي: لا تقلؤوا من فقركم، فحسن: (نحن نرزقنكما) ما يزول به إملائك.
ثم قال: (وَإِيَاهُمْ) أي نزرقكم جميعاً. وقوله تعالى: (خَشْيَةَ إِمَلاَقِ) خطاب للأغنياء،
أي خشية إملاق يتجدد لهم بسببهم، فحسن: (ثَنَّى نَزْرَقْهُمْ وَيَايَّامُهُمْ). (1)
وقد وافقهم على هذا التوجيهه - أيضاً - الكرمانى، وأبو بحيى
الأنصارى في فتح الرحمن. (2)

ومن المواضع التي وافق فيها قول ابن عاشور قول علماء المتشابه، مَا
جاء في توجيه الآيتين من سورة الكهف في قوله - تعالى - (قَالَ أَلِمَ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مُعِيَّ صَبْرًا) (3) والآية التي بعدها في قوله (قَالَ أَلِمَ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مُعِيَّ صَبْرًا). (4)

حيث خلت الآية الأولى التي وقع فيها الإناكار على خرق السفينة -من قيد-
"لك"، واشتملت عليه الآية الثانية التي جاء فيها الإناكار على قتل الغلام.
فذهب ابن عاشور إلى أن الآية الأولى قصد الخضر - عليه السلام -
تذكر موسي - عليه السلام - بوصيته له، ويا شرطه عليه في قوله (فإِن
أتَبَعْتُ فَلَا تَسَأَّلْيُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْبَسْ لَكَ مِنَهُ ذِكْرًا) (5) فخطابه بِلطف في أول
إناكار عليه، وفي الآية الثانية كرر موسي الإناكار لما رأى قتل الغلام فشدّ عليه
الخضر، وأكد كلامه بقوله "لك" زيادة في الإناكار عليه بترك الوصية في المرّة
الثانية.

_____________________________________
(1) كشف المعاني ص: 169
(2) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص: 11
(3) فتح الرحمن ص: 180-181
(4) سورة الكهف، آية: 72
(5) سورة الكهف، آية: 75
(6) سورة الكهف، آية: 70
وفي هذا يقول ابن عشور: قوله - تعالى - (قالَّ أَمَّن أَقَلُّ إِنَّكَ لَنَ تُسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا) كان جواب الخضر هذا على نسيج جوابه السابق، إلا أنه زاد ما حكي في الآية بكلمة (لك) وهو تصريح بتعلق فعل القول، وإذ كان المقول له معلومًا من مقام الخطاب كان في التصريح بتعلق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبت له وتفويضه، والداعي لذلك أنه أهل العمل به.

واللام في قوله (لك) لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقوله أو ما في معناه، نحو: قلت له، وأذن له، وفسّرت له؛ وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلومًا من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام وتبلغيه إلى السامع، ولذلك سميتم لام التبليغ، لا ترى أن اللام لم يحت لذكره في جوابه أول مرة (قالَّ أَمَّن أَقَلُّ إِنَّكَ لَنَ تُسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا) فكان التقرر والإنيك مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد. (1)

وهذا هو ما ذكره الخطيب الإسكافي حيث قال: للسائل أن يسأل عن زيادة (لك) في الثانية وإخلاء الأولى منها.

والجواب أن يقال: إنه في الأولى لما قرر موسى وذكر ما كان قدّم القول فيه من أن الصبر على ما يشاهده منه يثقل عليه فقال: (.... أَمَّن أَقَلُّ إِنَّكَ لَنَ تُسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا) معناه في غالب ظني: إنك تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر إلى الإنيك، فلما رأى قتل الغلام وعاد إلى الإنيك أدرك التقرير الثاني بقوله: (لك) كما يقول القائل: لك أقول، وإياك أعني، فيقدم (لك) وإن قال: أقول لك، وأعنيك بكلامي لاستوا في المعنى إلا أن في (لك) تأكيد الخطاب بالتقديم فكانه قال: أَمَّن يك خطابي لك دون من سواك، وهذا وجب في الثاني لا في الأول الذي لم تتأكد حجة الخضر - عليه السلام - كتأكِّدها في الثاني. (2)

(1) التحرير والتنوير 16/5
(2) درة التنزيل وغرة التأويل 1/881-882
وجد وافق الخطيب الإسكافي وابن عاشور على هذا التوجيه كله من الكرماني، (1) وابن الزبير، (2) وابن جماعة، (3) وأبو يحيى الأنصاري، (4) من علماء المشابهات.

قال ابن جماعة: قوله تعالى: (قال: آلم أققل إنك) وقال: (قال: آلم أققل لك)؟

جوابه:

أن الخضر قد صد بالأولى: تذكير موسى عليه السلام - بما شرط عليه فخاطبه بلطف وأدب معه. وفي الثانية: كر موسى الإكثار عليه، فشد الخضر عليه، وأكد القول بقوله (لك) لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه.

وقال أبو يحيى الأنصاري وهو يتحدث عن تدرج إنكار الخضر - عليه السلام - في جوابه على حسب إنكار السائل وهو موسى عليه السلام:

ولذلك قال في خرق السفينة: "آلُ أَلَّا أَقَلْ إِنَّكَ " بحفف " لُك " وفي قتل الغلام " آَلُ أَلَّا أَقِلْ إِنَّكَ " بذكره، ولأن في ذكره قد صد زيادة المواجهة بالعتاب على ترك الوصية مرة ثانية. (5)

ومن تأثر ابن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه المشابهة اللطفي عند تعرضه لقوله تعالى: (الذي خففتي فهو يهدين. والذي هو يطمعني ويسقين.

وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين). (6)

---

(1) البرهان في توجيه مشابهة القرآن ص 170
(2) ملاك التأويل ص 322-323
(3) كشف المعاني ص 242
(4) فتح الرحمن ص 346
(5) فتح الرحمن ص 346
(6) سورة الشعراء، من الآية 81-82
في اللاحظ في هذه الآيات أن الله - سبحانه وتعالى - أكد نسبة الهدية والطعام والسقيا والشفاء إليه - تعالى - باستخدام الضمير "هو" الدال على اختصاصه - تعالى - بهذه الأشياء؛ بينما في أمر الإمام والإحياء خلت الآية من ضمير "هو" المفيد التوكيد.

والس في هذا أن هذه المسائل الأربع - الهدية والطعام والسقيا والشفاء، قد يدعمها غير الله - تعالى - فقد يظن أن الأب هو الرازق لأنه الجالب له، وأن الطبيب هو الشافي حيث إنه السبب فيه؛ ولذا جيء بالضمير المنفصل "هو" الذي أفاد التوكيد.

بينما لم يقل - سبحانه - هو يميتني أو هو يحيوني؛ لأن الحياة والموت بيده - تعالى - لا يدعها أحد، ولا يقدر عليها إلا هو - سبحانه - ولهذا جاءت بدون هذا التوكيد.

وفي هذا يقول ابن عاشور: فاما قوله: (والذي يميتني ثم يحيين) فلما يأت فيهم بما يقضي الحصر؛ لأنهم لم يكونوا ينعمون أن الأصنام تмиت بـ عمال الأصنام قاصر على الإعاقاة أو الإعاقاة في أعمال الناس في حياتهم. فلما الموت فهو من فعل الدهر والطبيعة إن كانوا دهرين وإن كانوا يعلمون أن الخلق والإحياء والإماتة ليست من شؤون الأصنام وأنها من فعل الله - تعالى - كما يعتقد المشركين من العرب فظاهر. (1)

وما ذكره ابن عاشور هنا جاء موفقاً لما ذكره الخطيب الإسكافي حيث يقول: للمسائل أن يسأل فقول ما الذي أوجب إدخال "هو" في قوله: (والذي هو يطعن نسيفين)، وقوله: (فهو يشقين)، وإخلاء قوله: (والذي يميتني) منها، ولم يقل: والذي هو يميتني، كما قال: والذي هو يطعن؟

(1) التحرير والتنوير 143/19
الجواب أن يقال: لو جاء: والذي يطمئن ويسقين، وإذا مرضت يشفين،
لكن معلوماً أن مراده الله تعالى - وذكر: "هو" توكيداً لمعنى الكلام،
وتخصص الفعل به دون غيره، واجتاح ذكر الاطعام والشفاء إلى هذا التوكيد,
لأنهما مما يدفع الخلق فعلاً، فيقال: فلن يطعم فلاناً، والطيب يداوي، ويسبب
الشفاء، فكانت إضافة هذين الفعلين إلى الله تعالى محتاجة إلى نفاذ التوكيد - لما
يتوهم من إضافته إلى المخلوق - إلى ما لا يحتاج إليه.(1)
وقال الكرماني: "زاد "هو" في الاطعام والشفاء؛ لأنهما ممّا يدفعه الإنسان أن
يفعله، فيقال: زيد يطعم وعمرو يداوي فأكرد إعازا أن ذلك منه - سبحانه - ناه
من غيره وأما الخلق والموت والحياة فلا يدعهما مدع فأطلقت.(2)
وقد وافق ابن عاشور والخطيب الإسبافي - أيضاً - على هذا المعنى ابن
الزبير في ملاك التأويل.(3) وأبو يحيى الأنصاري في فتح الرحمن.(4)
ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن عاشور في قصة إبراهيم - عليه السلام في
قوله تعالى (قد صدفت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين)(5) قوله تعالى - تعالى -
(كذلك نجزي المحسنين)(6)
حيث لم يذكر في الآية الثانية ما ذكر في الآية الأولى، وهو قوله "إنا".
وقد ذكر ابن عاشور - رحمه الله - أن الله تعالى - لم يذكر "إنا" في
الآية الثانية؛ لأنه اكتفى بتأكيد نظيره في الآية الأولى، فحصل الاهتمام فلم يبق

(1) درة التنزيل وغرة التأويل 967/1
(2) البرهان في توجيه متشابه القرآن 190
(3) ملاك التأويل ص 377
(4) فتح الرحمن ص 412
(5) سورة الصفات، آية: 50
(6) سورة الصفات، آية: 110
داع إعادته، واقتصر على تأكيد معنى الجملة تأكيداً للفظية؛ لأنه تقرير للعناية بجزائه على إحسانه. (1)

وهو المعنى هو ما ذكره أصحاب مصنفات توجيه المشابه في القرآن الكريم، حيث اتفقوا على أن حذف كلمة "إنا" من الآية الثانية اختصاراً واكتفا بذكرها في الآية الأولى. (2)

وبهذا يظهر لنا تأثر ابن عاشور بالعلماء أصحاب مصنفات المشابه الفظية في القرآن الكريم ومدى اتفاقه معهم في كثير من موضوعات توجيه المشابه الفظي.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالخطيب الإسكافي في توجيه المشابه الفظي:

اللفظي:

إن الإمام محمد الطاهر بن عاشور كما تأثر بعلماء مصنفات توجيه المشابه في حال اتفاقهم وإجماعهم على توجيه، كذلك تأثر بهم في حال انفراد أحدهم برأي أو توجيه، فكان أحياناً يوافق قوله قول أحدهم في توجيه بعض آيات المشابه.

ومن أبرز الذين تأثر بهم ابن عاشور في توجيه مشابه القرآن الخطيب الإسكافي صاحب درة التنزيل وغرة التأويل، إذ يعتبر كتاب الخطيب الإسكافي درة التنزيل عامة المؤلفات في توجيه المشابه الفظي وأسبقها، ولذلك فإن كل من ألف بعده في توجيه المشابه عياً عليه ومتثأرون به ماداً ومنهجاً.

ولمن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالخطيب عند توجيه مشابه قوله - تعالى - في سورة الأعراف (تلك القرى نقص علَيَّك من آبائِنا وقذَّجاءِهِم رَسِلُونَا بِالبيتِ نَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبِيلٍ كَذَّبُونَ اللَّهَ عَلَى

(1) التحرير والتنوير ١٦٠/٣٢-٢٣

(2) البركان في توجيه مشابهة القرآن للكراميني ص: ٣١٤، مالاً التأويل لابن الزبير ص ١١٤.

كشف المعاني لابن جعيفة ص ٣٠٣، فتح الرحمن لأبي يحيى الأنصاري ص ٤٨٣.
العدد الخامس والعشرون لعام 1437/2016
الجزء الثاني

توجيه التشابه النظفي في القرآن الكريم
ابن عاشور بين التأثر والتجديد

قوله الكافرين (1) قوله تعالى في سورة يونس (تم بعده رسولًا إلى قومهم فجاءوه بالبيت فما كانوا ليؤمنوا بما كتبوا به من قبل) (2) ففي آية سورة الأعراف حذف المتعلق (به) بينما ذكر في آية سورة يونس (كذبوا به).

يقول ابن عاشور في معرض تفسيره لأية سورة الأعراف: حذف المتعلق هنا إيجازاً، لأنه قد سبق ذكر تكذيب أهل القرى، ابتداء من قوله تعالى: (وما أرسلنا في قريه من نبي إلا أخذنا أهله بالبأساء والضراء لعلهم يضغعون) (3) وقد سبق في ذلك قوله: (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (1) ولهذا لم يحذف متعلق فعل (كذبوا) في نظر هذه الآية من سورة يونس.

فابن عاشور بنى توجيهه في تفريقه بين الآيتين على ما سبقهما من سياق، فيرى أن كل آية وافقت ما سبقها، فلذلك تقدم في سورة الأعراف خلا من التعدي السامي بالباء حيث جاء فيها (أخذنا أهله) (ولكن كذبوا فأخذناهم) فجاءت الآية بعدها على هذا التحو، وأما في سورة يونس فقد جاء قبل الآية قوله (وأغرقتا الذين كذبوا بآياتنا) (3) فقال (كذبوا بآياتنا) يذكر الباء.

وهذا ما ذكره الخطيب الإسكافي حيث قال: سقوط (به) من قوله: (كذبوا) هو للبناء على ما جعل صدرا لهذه الآيات التي نزلت في الترغيب والترهيب، وهو: (ولكن أن أهل القرى آمنوا واتقوا ففتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (7) فقوله: (ولكن كذبوا) لم يذكر له

1) سورة الأعراف، آية: 101
2) سورة يونس، آية: 74
3) سورة الأعراف، آية: 94
4) سورة الأعراف، آية: 95
5) التحرير والتنوير: 32/1
6) سورة يونس، آية: 73
7) سورة الأعراف، آية: 96
مفعول، وانساقت الآيات بعد التحذير المتواصل بقوله: (أَفَأَمَّنْ أَهْلَ الْقُرْءِ أن يَتَّبِعُوهُم بَأَسْتَنَا بَيِّنَاتٍ) ثم ختمت بقوله: (ثُلُكَ الْقُرْءِ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاتِهَا وَلَقَدْ جَاعَتُهُمْ رَسْلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَوا لَيْوَمْنَا بَما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِ) فَالذُّكَّارُونُ هُمْ الذُّكَّارُونُ في قوله (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) فَدُلُّ على ذلك بأن أجره مجري في حذف ما يتعدى إليه كذب وما يتعدى...

وأما قوله - تعالى - في سورة يونس: (فَمَا كَانَوا لَيْوَمْنَا بَما كَذَّبُوا بِهِ من قَبْلِ) وإثبات المعقول به هنا: فَلَكِن قَبْلُ قَصَةِ نَوحٍ - عليه السلام -، وهي وَاتِلْ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ نَوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبِيرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّري بَايِاتِ اللَّهِ ثم بعده: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَبَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَکَ) ثم بعده: (وَأَعْرَقْتُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَايَاةَنَا) فجاء كذب أمام القصة المبينة على القصة التي قبلها متعدية إلى ما وجب لها في موضعها، وتونع تفعيلها. فلما جاء ذلك متعديا جاء هذا مثله وكما لم يجي في الآية التي في سورة الأعراف متعديا لم يجي فيما بنى عليه إلا محدود الفعل.

ومن المواضيع أيضا التي وافق فيها رأي ابن عاشور رأي الخطيب الإسكافي ما جاء في توجيه متشابه قوله - تعالى - في سورة يونس (إن اللَّهُ لَنَّدْوُ فَضْلَ على النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) (1) وقوله - تعالى - في سورة غافر (إِنَّ اللَّهَ لَنَّدْوُ فَضْلَ على النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (2) فقد جاء في


______________________________

(1) سورة الأعراف، آية: 97
(2) سورة يونس، آية: 71
(3) سورة يونس، آية: 73
(4) سورة يونس، آية: 73
(5) درة التنزيل 2/ 24- 243
(6) سورة يونس، آية: 69
(7) سورة غافر، آية: 61
الآية الأولى في سورة يونس (أكثرهم) بالإضمار، وفي الآية الثانية في سورة غافر (أكثر الناس) بالإظهار فما الفرق إذًا.
فقد أوضح ابن عاشور أن تكرر لفظ الناس مع أنه متقدم في سورة غافر، ليفيد تسجيل الكفران عليهم بوجه أصريح، لذا تكرر لفظ الناس عند عدم الشكر كما ذكر عند التفضل عليهم. 
فتكر لفظ الناس ووقوع المظهر موقع المضرد على مزيد التشريع بهم وبحالهم.

وأما ذكره ابن عاشور في هذا التوجيه جاء متأثرا فيه بما ذكره الخطيب الإسكافي، ولكنه ذكره مختصرا مقتصرا فيه على ذكر المناسبة المعنوية من الإظهار والإضمار بينما جاء قول الخطيب الإسكافي أكثر شرحا وبسطا، ذاكرا فيه المناسبة اللفظية وهي أن الإضمار والإظهار جائزان في اللغة، ثم أوضح المناسبة المعنوية، وهي أن كل موضع يحتمل الإضمار يحمل على قرب الذكر، والإظهار يحمل على تعظيم الأمر وذكر أن ذلك ينبغي أن يحمل على ما يلائم الآيات المتقدمة له فيجمع السياق بين صحة المعنى واللفظ ومشاكل ما قبله من آيات.
أما آية غافر فقد ذكر أنه جاء في آيتين متقدمتين إظهار اللفظ (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فنسب الإظهار، أما آية يونس قبلها بنى على الإضمار كقوله (أنا إن وعده الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) فنسب الآية الإضمار.

يقول والجواب أن يقول: إن كل موضع يحتمل الإضمار نقرب الذكر ويحمل الإظهار لتعظيم الأمر، وذكر أخص الأسماء المقصود بالتقريع والتثنيف فإنه يحمل

(1) التحرير والتنوير 186/24
(2) سورة غافر، آية: 57
(3) سورة غافر، آية: 59
(4) سورة يونس، آية: 55
على ما يلام الآيات المتقدمة له ليكون قد جمع إلى صحة المعنى واللفظ مشاكلة ما قبله من الآي.

فأما قوله تعالى في سورة المؤمن: (ولكن أكثر الناس لا يشكون) بعد قوله: (إن الله نذو فضل على الناس) فإنه محمول على الآيات التي قبله، وهى قوله: (خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنه أكثر الناس لا يعلمون).

وقال بعده: (إن الساعة نأتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون).

ثم جاء (إنه الله نذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكون).

فأظهر ذكر الناس كما أظهر في الآتيين قبلها للمشاكلة والملائمة.

وليس كذلك الأمر في سورة يونس - عليه السلام - لأن الكلام هناك بني على الإضمار في الآي المتقدمة، ولي ترى أنه قال - تعالى - مخبراً عمى يدخل من الظالمين النار: (ثم قيل لذئبتين ظلموا دوقعوا عذاب الخلد هل تجزو الذين لا يعلمون).

فانقضى هذا الكلام، واستؤنف خبر عن القوم الذين بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (ويستَبْنُونَكَ أَحْقَ مَنَّ اللَّهُ وَأَيْمَانَ إِنْ أَحْقَ وَمَا آتَيْتُبمْ مَعَجِزٍ)، فاضمر ذكره في قوله: (ويستَبْنُونَكَ أَحْقَ) ثم قال بعده: (ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) فأضمر ما أضاف إليه أكثر، ثم انثني إلى قوله تعالى بعد: (إن الله نذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكون) فاقتضى ما بني عليه الكلام في هذه الآيات أن يكون ما بعد الشرط بلفظ الإضمار كما كان تقدمه.

(1) سورة غافر،آية:57
(2) سورة غافر،آية:58
(3) سورة يونس،آية:52
(4) سورة يونس،آية:53
(5) درة التنزيل وغرة التأويل 1/113-128/1
وقول الإسكافيّ: كل موضوع يحتل الإيضاح لقرب الذكر، ويحتل الإظهار لتعظيم الأمر... يقصد أن الأسم الظاهرة غير ذكر المثير العائد عليه، فالإظهار يكون لتعظيم الأمر. وهذا هو مراد ابن عاشور فيما ذكره سابقاً.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالإمام الكرماني في توجيهه المتشابه:

اللفظي:

تأثر بالإمام الكرماني في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن كثير من العلماء وكان الإمام محمد الطاهر بن عاشور واحداً من بين الذين تأثروا به وأخذوا عنه، ويظهر لك هذا من خلال هذه الأمثلة التي أسوأها إليها.

فمن المواضيع التي ظهر تأثره فيها بالكرماني عند دراسة متشابه قوله:

 تعالى - في سورة الصفات قولهم حتى حين، وأيضاً فسوف يضربون(1)

وقوله تعالى - وولون عنهم حتى حين، وأيضاً فسوف يضربون(2) حيث تكررت الآية الثانية مع بعض التشابه اللفظي مع سابقتها.

فيري ابن عاشور أن الآية الثانية تأكيد للأولى، أو أن المراد بالأولى أحوال الدنيا وهو وعيد بما حل بهم يوم بدر، وأن المراد بالتولى والإعراض في الآية الثانية أن يكون حينا من أوقات الدنيا فهو إنذر بفتح مكة، أو أن يكون إلى يوم القيامة.

حيث يقول: قوله تعالى - وولون عنهم حتى حين، وأيضاً فسوف يضربون(1) وهذه نظير التصريح المفرعة بالفاء، على أنه قد يكون هذا التولى غير الأول على حين آخر وإبصار آخر فالظاهرة أنه تول عنهم بيني من المشركين بعد حلول العذاب الذي استثجلوه، فيحتتم أن يكون حينا من أوقات الدنيا فهو:

(1) سورة الصفات، آية: 4: 174-175
(2) سورة الصفات، آية: 178-179
إنذار بفتح مكة، ويعتبر أن يكون إلى حين من أحيان الآخيرة... وحذف مفعول (أبصراً) في هذه الآية لدلالة ما في تأسيسها عليه.
والحق أن ما ذكره ابن عاشور هو ما أرتأه الكرماني، حيث رأى الكرماني أن إعادة الآية الثانية للتأكيد، أو لأن الأولى في الدنيا والثانية في الآخرة، وقـ ـ حذف منها المفعول اكتفاء بذكره أولاً.
ومن المواضيع التي تتأثر فيها ابن عاشور بالكرماني، ما ذكره في توقيـ ـ متشابه قوله ـ تعالى ـ في سورة الفتح (هو الذي أنزل السـ كينة في قـ ـ لوب المؤمنين لبـ دادوا إمامًا مع إمامهم وله جنود السماوات والأرض وكان الله عليـاً مـ كيماً) مع قوله ـ تعالى ـ من ذات السورة (وَلَهُ جَنُودُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا قَدِيرًا).
حيث تكرر قوله ـ تعالى ـ (وَلَهُ جَنُودُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وجاء في الآية الثانية بكلمة "عزيزًا" بدلاً من كلمة "عليمًا".
فيسير ابن عاشور إلى الفرق بين تذبـ ـ يعد الآبتيين، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جاء في الآية الثانية بصفة عـ ـ يز دون علمٍ؛ لأنه ذكر في سياق الإنذار والذابـ ـ والتهديد، فناسـ ـ وصف الغزء ـ أي الذئب لا يغبار ولا يقيق، بينما جاء في الآية الأولى بوصف عـ ـ يمٍ؛ لأنه في سياق الوعـ ـ د بالنصر في المستقبل وهو غـ ـ يب؛ لذا ناسبه الوصف بالعلم.
حيث يقول قوله تعالى: (وَلِلَّهِ جَنُودُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) هذا نظـ ـ ير ما تقدم أنـ ـ نأخف إلا أنه أُروع بصفة عـ ـ يز دون علمٍ؛ لأن المقصود من ذكر الجنود هنا الإنذار والوعيد بهزائم تحل بالمناهـ ـ فقمة.
ذكر، (ولله جنود السماء والرض) فيما تقدم للإشارة إلى أن نصر النبي صلى الله عليه وسلم يكون بجنود المؤمنين وغيرهم ذكر ما هنا للوعيد بالهزيمة فمناسبة صفة عزيز، أي لا يغلبه غالب. (1)

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عاشور هو ما ذكره الكرمانى في البرهان باختصار ووضوح حيث يرى أن الآية الأولى متصلة بإزال السكينة وزيدان إيمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة، وأما الآية الثانية فمتصلة بالعذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة. (2)

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بابن الزبير الغرناطي في توجيهه المتشابه اللفظي:

بعد كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي من المصادر المهمة في توجيهه المتشابه اللفظي للقرآن الكريم، وهو من أصول كتاب المتشابه، مع ما امتاز به من الوضوح وحسن العبارة لهذا فقد تأثر الإمام ابن عاشور بابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل، ومن المواضع التي ظهر فيها تأثره به عند حديثه عن سبب إيراد الفعل بصيغة المضارع في آية الحجر في قوله تعالى (كذلك سلكت في قلوب المجرمين) (3) بينما جاء بصيغة الماضى في الشعراء (كذلك سلكت في قلوب المجرمين). (4)

حيث يرى ابن عاشور أن وجه اختيار المضارع في الحجر لأنه دال على التجدد لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغ مضى، وهو الذي أبلغه شيخ الأولين لتقدم ذكرهم، فيتوهم أنهم المراد بالمجرمين مع أن المراد كفار قريش. وأما آية

(1) التحرير والتنوير 26/154
(2) البيان في توجيه متشابه القرآن ص 227
(3) سورة الحجر، آية: 12
(4) سورة الشعراء، آية: 200
الشعراء غالباً ما يتقدم فيها ذكر لغير كافر قريش فنسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى. 

وما ذكره ابن عاشور هنا قريب من تعليل وتوجه ابن الزبير، الذي نظر للآيتين من خلال سياق السورتين، فذكر أن سورة الحج تتناول من أولها أخبار المكذبين من كفار قريش وما يحملونه من عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، فجاء التعبير بلفظ المضارع المشعر باستمرار عداوتهم، أما آية الشعراء فتقدمها ذكر أحوال الأنبياء مع أقوامهم كونه وصال ولونو وشعبة وموسى عليه السلام، بعد ذلك جاء الحديث عن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، ثم جاء بعد ذلك (وآنه لفي زين الابوالين) فالكتب السابقة تصدقه، وهو كائن فيها باسمه ووصفه، تجاءت الآية (كذلك سلَّتَه) فألج ذلك ناسب ذكر الماضي في الآية.

يقول ابن الزبير: إنه تقدم في آية الحجر قوله تعالى: (وَقَالَاهَا يَا أُمَيَّةَ الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذَّكَرُ إِنَّكَ لَمَّا جُنِّبْتُ.) وهو قول الفتاة من كفار قريش. ولم تقدم في هذه السورة إخبار بحال غيرهم من مكذبين الأمم سوى التعرف بأن كلمة أهلت فآجل معلوم. فورد هنا (تسلكه) بلفظ المبهم لأن الإخبار عن كفار قريش ممن استمر على كفره فهو حالهم وقت نزول القرآن وبعده. وقوله: (تسلكه) مشعر باستمرار حالهم وموافاتهم على ذلك، وقد تأكد هذا بوصفه بال량م وتسجيل حالهم السيء بقوله: (لا يؤمنون)، وأداة لا نافية للمستقبل فناسب هذا لفظ المبهم المضارع.

أما آية الشعراء فقد تقدمها ذكر قوم نوح وهود وصالح ولونو وشعبة وغيرهم من الأمم المكذبين، بعد سلك ما ذكره سبحانه أنه زبر الأولين – أي

(1) التحرير والتنوير 194/19
(2) سورة الشعراء آية: 16
(3) سورة الحجر آية: 2
القرآن - في قولهم، فلما تقدم أمرها أولاً وانقطعت أزمانها، وقعت العبارة

(1) بالماضي، فقال تعالى: (كذلك سكنناه)، ولم يناسب هنا غير الماضي.

(2) ومن المواضيع التي تأثر فيها ابن عاشور بابن الزبير الغرناطي عند توجيه متشابه قوله - تعالى - في سورة النور (كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم). حيث ورد لفظ الآيات بالألف واللام وفي الآية التي بعدها جاء اللفظ بالإضافة للضمير، يقول - تعالى - (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبيّن الله لكم آياته والله عليم حكيم).

(3) فيرى ابن عاشور أن هذا من باب التفنين في القول، تجنيب لإعادة لفظ بعينه، حتى لا يعاد الكلام بنفس حروفه وألفاظه، فيصحبه الاستثقال، أما مجيئه على نحو آخر به بعض الاختلافات يكون فيه فائدة جديدة وهي تجديد نشاط السامع، مع ما فيه من تأكيد معنى التبيين.

(4) حيث يقول: وإنما أضيفت الآيات هنا لضمير الجلالة تفنياً وتقوية تأكيده معنى كمال التبيين الحاصل من قوله: (كذلك).

وهذا هو ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي حيث يرى أن سبب الاختلاف بين الآيتين في التعريف والتنكر هو أن العرب لا تكرر اللفظ الواحد؛ لكراهته استثقال اللفظ ما لم يحمل على معنى من المعاني، وهو ضرب من التفنين في لغتهم.

فقوله في هذا: لما تقارب اللفظ الواحد عدل عن تكراره بلفظ واحد فيما تقارب، على عادة العرب في استثقالها تكرر اللفظ الواحد بعينه في بيت واحد من الشعر أو ما تقارب من الكلام، ما لم يحمل على ذلك حامل من المعنى، فجيء

_____________________________
(1) ملاك التأويل ص 290
(2) سورة النور، آية: 58
(3) سورة النور، آية: 59
(4) التحرير والتثوير 296/18
تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بابن جماعة في توجيه المتشابه

اللفظي:

كما تأثر ابن عاشور بالكرماني تأثر أيضاً بابن جماعة صاحب كتاب كشف المعاني ومن المواضع التي ظهر تأثره به فيها ما جاء في سورة النحل في قوله: "(الذي سخر البحر لتأكلوا منه نحماً طرياً وستخرجوا منه جليسة تلبسونها وتترى الفلك مزاخر فيه وتبتغونا من فضله ولعلكم تشكرون)" (1) حيث ورد تقديم(مزاخر) على الضمير المجرور، وفي سورة فاطر جاءت الآية بتقديم الضمير المجرور بفي عليه(مزاخر) حيث قال الله تعالى: "(وستخرجون حليّة تلبسونها وتترى الفلك مزاخر لتبغوا من فضله ولعلكم تشكرون)" (2).

وفي هذا الموضوع نرى أن آية النحل جاءت على الأصل في الترتيب؛ فمزاخر مفعول ثان لـ(ترى) ثم جاء بعدها الظرف(فيه) أما تقدير(فيه) في فاطر فجاء على خلاف الأصل.

فيري ابن عاشور في سر هذا الاختلاف أن تقدير الظرف في قوله: (فيري مزاخر) في سورة فاطر على عكس آية سورة النحل، لأن هذه الآية مسوبة مساق الاستدلال على دقيق صنع الله تعالى في المخلوقات، وأدمع فيه.

(1) ملاك التأويل 373
(2) سورة النحل، آية: 14
(3) سورة فاطر، آية: 12
الإمتزاز يقوله: (تأكّلون... وتستخرِجَون حليّة ) وقوله: (التي تبتغوا من فضله) فكان المقصد الأول من سياؤها الاستدلال على عظيم الصنع فهو الأهم هنا.

ولما كان رفع الفلك على الماء حتى لا يغرق فيه أظهر في الاستدلال على عظيم الصنع من الذي ذكر من النعمة والإمتزاز قدم ما يدل عليه وهو الظرفية في البحر. والمخر في البحر آية صنع الله - أيضا - بخلق وسيلة ذلك والإلهام له، إلاّ أن خطور السفر من ذلك الوصف أو ما يتبع إلى الفهم فآخنا هنا لأنّه من مستتبعات الغرض لا من مقصده فهو يستتبع نعمة تيسير الأسفار لقطع المسافات التي لو قطعت بسير القوافل لطالما مدة الأسفار.(

فابن عاشور يرى أن آية سورة فاطر مساقية في معرض الاستدلال على دقيق صنع الله وعظيم قدرته، فلما كان هذا هو المقصود الأهم ناسبه تقديم الظرف "فيه" وهكذا سائر الجمل جاء تقديمها منسائية للغرف الأهم، وليس كذلك في سورة النحل، وقد جاء قوله هذا موافقا لما ارتأاه ابن جمعة، حيث رأى أن تقديم "فيه" في آية فاطر لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية عظيمة فدل ذلك كأن التدقيق أسباب للفلك، وهو آية لبيان قدرة وحكمة الخالق - سبحانه.(

ومن المواضيع التي تتأثر فيها ابن عاشور باب جماعة عند توجيه متتبّعه قوله - تعالى - في سورة في سورة لقمان (يا بني أقيم الصلاة وأمر بالمعروف وانَّه عن المكروه واصرِ على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) وقوله في سورة الشورى (ولكن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) حيث حذفت اللام في آية سورة لقمان، و جاءت آية سورة الشورى بذكراك.

(1) التحرير والتنوير 2016/280
(2) كشف المعاني 2016/26
(3) سورة لقمان، آية: 17
(4) سورة الشورى، آية: 43
فبأى ابن عاشور أن آية سورة الشورى جاءت مؤكدة باللام، لأنها في ميمن
صبر على الأذى من شخص آخر ومن غريم له فلم ينتقم منه، وإنما عفا وغفر
وصحب عن أماس إليه، فالصبر في مثل هذا الموطن أقوى والعزم عليه أكبر، لذا
جاءت الآية مؤكدة باللام "لمن عزم الأمور"، بينما جاءت آية سورة لقمان بدون
تأكيد لأنها فيمن صبر على بلاء آلم به من موت عزيز أو مرض أصيب به، إلى
غير ذلك من الأقدار التي تصيب الإنسان.

حيث يقول ابن عاشور: وهذه الجملة تفيد بيان مزية المؤمنين الذين تحملوا
الأذى من المشركين وصبروا عليه ولم يؤذوا به من آمن ممن آذوه مثل أخت
عمر بن الخطاب قبل إسلامه، ومثل صهره سعيد بن مزيد، فكان في صبر سعيد
خير دخل به عمر في الإسلام، ومزية المؤمنين الذين يصبرون على ظلم إخوانهم
ويعفون لهم فلا ينتصفون منهم ولا يستندون عليهم.(1)

ويظهر مما ذكره ابن عاشور تأثره بما ذكره ابن جماعة في كشف المعاني،
حيث يرى أن الله تعالى لما ذكر في سورة الشورى جواز الانتقام وذكر ترك
ذلك لصفتين الصبر والغفران ناسب ذلك التوكيد واللام؛ لأن الصبر والغفران مع
القدرة أشد على النفس منهما مع عدم القدرة فالصبر هنا أشد والعزم عليه أوحد.
فجاء باللام.(2)

وهو يشير بذلك إلى الصبر على آذى الآخرين، ممن يملك من وقع عليه
الأذى منهم أن يرد عليهم بالمثل، لكنه يعفو ويصفح عن ذلك.
ثم يقول: وأما آية لقمان فهي في صفة واحدة وهي الصبر ولعله فيما ليس
له الانتقام فيه فلم يؤكد.(3)

(1) التحرير والتنوير ١٢٢/٥
(2) كشف المعاني ص ٣٣١
(3) كشف المعاني ٣٣١
المطلب الثاني

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين

إن المتضامن لما ذكره ابن عاشور في دراسته لمواضع الشبهة، يظهر له مدى تأثيره الواضح وانتمائه بين المفسرين أصحاب المؤلفات الشهرة في تفسير القرآن الكريم، وهذا مما يدل على سعة اطلاعه على كتب السابقين ودقة فهمه لها.

وسيكون الحديث هنا عن تأثر ابن عاشور بالمفسرين السابقين في حالة إجماعهم على رأي واتفاقهم على قول في توجيه بعض مواضيع الشبهة.

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بجمهور المفسرين في توجيه المتشابه

اللفظي:

تأثر ابن عاشور بجمهور المفسرين في تأويل متشابه القرآن الكريم، فكثيرا ما كان يذكر المعنى الذي عليه أكثر المفسرين السابقين في توجيه متشابه الفظي للقرآن الكريم، وأذكر بعض المواضع التي قام ابن عاشور بتوجيهها

وجاء رأيه موافقا لما عليه أكثر المفسرين السابقين.

من هذه المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بجمهور علماء التفسير، ما ذكره عند توجيه متشابه قوله تعالى في سورة البقرة (وقتلنا أهبطوا بغضكم لبغيض عدوكم) (1) وقاله تعالى (قال اهبطوا بغضكم لبغيض عدوكم) (2) مع ما جاء في قوله تعالى (قال اهبطوا منها جمعا بغضكم لبغيض عدوكم) حيث جاء التعبير بصفة الجمع في سورة البقرة والأعراف وبصيغة النثائية في سورة طه.

---

(1) سورة الأعراف، آية: 24
(2) سورة طه، آية: 123
يقول ابن عاشور: ووجه جمع الضمير في (اهمطوا) قيل لأن هبوط آدم وحواء اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنة، فكان إهبطاهم إهبطاً لنسلهما، وقيل الخطاب لهما وإليهما وهو وإن أهبط عند إيايته السجود.

ويشير بقوله: لأن هبوط آدم وحواء اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنة...إلى أن الخطاب في اهمطوا لأدم وحواء وهو يشمل نسلهما، وقوله: الخطاب لهما وإليهما إلى أن الخطاب في اهمطوا لأدم وحواء وإليهما.

وهن تعرّض المفسرون السابقون لمسألة الفرق بين جمع الضمير في آية وتثنية في موضع آخر، ذهب المفسرون في تأويل هذا المتشابه إلى أقوال:

الفقر الأول:

أن خطاب الجمع في آية البقرة والأعراف لأدم وحواء لتنزيلهما منزلة البشر كلهم ولأنهما أصل الإنسان فكانهما الإنسان، وأن خطاب التثنية لأدم وحواء، بدليل أنه جاء التعبير في الآية الأخرى بقوله (اهبطوا) والمقصود به آدم وحواء.

وقد ذهب إلى هذا القول الإمام النسفي – رحمه الله – حيث قال: والصحيح لأدم وحواء، والمراد هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنسان ومشبعهم جملا كأنهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى: (قال اهبطا منّها جمعا)، وقال أبو السعود: (وقلنا اهبطوا) الخطاب لأدم وحواء – عليه السلام – بدلول قوله تعالى – (اهبطوا منّها جمعا) وجُمّع الضمير؛ لأنهما أصل الجنس فكانهما الجنس كلهم.

(1) التحرير والتنوير 1/34.1
(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي 1/172 نشر: دار السلطان الطيب – بيروت – طبعة: أولى، 1419 هـ، 1998 م
(3) إرشاد العقل السليم إلى مزایا الكتاب الكريم لأبي السعد العمادي محمد بن محمد بن مصطفى 1/169 نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
القول الثاني:
أن خاطب الجمع لأدم وحواء والشيطان، وهو رأي الأكثرين، فإيليس داخل فيه؛ لأنه قد جرى ذكره في قوله - تعالى - (فازَلَهُما الشيَّطانُ عَنْهَا). (1)
يقول ابن جزى في التسهيل: (اًهَبِطُوا) خطاب لأدم وزوجه وإيليس بدليل:
بعضكم لبعض عدوً (2)
ويقول ابن القيم وهو يبين الفرق بين الخطاب الذي ورد بصيغة الإفراد والتنزئة والمجمع: وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لأدم وزوجه وإيليس إذ مدار القصة عليهم (3)
وفي هذا يقول ابن عاشور: وقيل الخطاب لهما ولإيليس وهو وإن أُهْبِط عند إبائيته السجود.
وما سبق ينتضح لنا تأثر ابن عاشور بما ذكره المفسرون السابقون، حيث ذكر أقوالهم السابقة ورأي ما رأوه.
ومن هذه المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بجمهور المفسرين
عند توجيه متشابه قوله - تعالى - في سورة البقرة (وإذ نِّجِيْنَاكُمْ من آل فَرْعَوْن يسْؤُومُونَ سُوءَ العذَّابِ يذَّبَحُون أَبْناَءَكُم وَيُسَتَّحِبُون نفساً كُم وَفِي ذُلْكَ بِلَاءاً مِن ربَّكُم عظِيم) (4) حيث قيلت جملة (يذَّبَحُون أَبْناَءَكُم) عما قبلها.

---

(1) سورة البقرة، آية: 36
(2) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزي الكبși
(3) تفسير القرآن الكريم لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوهرية، 1370/1 تحقيقات: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية – نشر دار ومكتبة الهلال – بروت – طبعة أولى 1410 هـ.
(4) سورة البقرة، آية: 49
وفي سورة إبراهيم جاءت الآية بالوصل، يقول تعالى - (وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُروُنَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْتُمْ مِنَ الْفَرَّوْنَ ِسُوءَ الْعَذَّابِ وَيُذَبَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيُسَخَّرُونَ نَسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءً مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمً) (1).

وقد كان جواب ابن عاشور عن سر هذا الاختلاف بين الآيتين، أن سورة البقرة لم ترد على نمط التعبد للمحج، وإنما جاءت الآية الثانية بدلاً من الأولى، فيكون المراد من سوء العذاب في سورة البقرة تذبيب الأبناء واستحيا النساء.

وأما ما جاء في سورة إبراهيم فأراد الله - سبحانه وتعالى - أن يعدد الشدائد والمحن التي كان يعاني منها بنو إسرائيل، وأنجام الله منها بعد ذلك قوله (يُسَوِّمُونَكَ سُوءَ الْعَذَّابِ) فهذه مهنة ثم (يُذَبَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) وهذه محلة أخرى، ثم (ويسخرون نساءكم) وهذه محلة ثالثة.

يقول ابن عاشور: وفي آية البقرة جعلت جملة (يُذَبَّحُونَ) بدون عطف على أنها بدل اشتمال من جملة (يُسَوِّمُونَكَ سُوءَ الْعَذَّابِ) فكان مضمون جملة وذبحون هنا - أي في سورة إبراهيم - مقصوداً بالعد كأنه صنف آخر غير سوء العذاب اهتماماً بشأته. (2)

وأما ذكره هذا ابن عاشور هو ما ذكره علماء التفسير كالمشخري، والرازي، وغيرهما.

قال الزمخشري: فإن قلت: في سورة البقرة (يُذَبَّحُونَ)، وهكذا - أي في سورة إبراهيم -(يُذَبَّحُونَ) مع الواو، فما الفرق؟ قلت: الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفي على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر. (3)

(1) سورة إبراهيم، آية: 6
(2) التحرير والتنوير 13/191-192
(3) الكشاف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله 540/2 - بيروت - طبعة ثالثة - 1407 هـ.
وقال الزمخشري والرازي على هذا المعنى أبو حيان، والنسفي، ووافقهم من علماء التفسير، والألوسي وغيرهم من علماء التفسير.

ومن المواضيع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بعلماء التفسير، ما ذهب إليه في توجيهه وتأويل متشابه قوله تعالى في سورة هود: «وقد جاءت رسالنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلاماً فما لي بعجل حنيذ»، وقوله تعالى في سورة الذاريات: «إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً فظالم قوّم».

(1) سورة الفرقان، آية: 68
(2) مفاتيح الغيب: 19/66
(3) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: 10/17، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت - طبعة: 1420 هـ.
(4) مدارك التنزيل: 163/2
(6) سورة هود، آية: 89.
وفى تشبيه النظر في القرآن الكريم

تحذير من النيازك من مصوحا ورد إبراهيم عليه السلام
- جاء مرفعا في السورتين.
فيشير ابن عاشور في توجيهه لهذا الموضوع لمناسبتين إحداهما لفظية وأخرى معنوية، أما اللفظية في قوله: (السلام) المرفوع مصدر مرفع على الخبر لمبدأ محذوف تقديره: أمري سلام، أي لكم، مثل "قصر جميل".
وأما المناسبة المعنوية في قوله: ورفع المصدر أبلغ من نصبه، لأن الرفع فيه تناسى معنى الفعل فهو أدل على الدواوين والتباث. ولذلك خالف بينهما للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام - رذ السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام. فقوله - تعالي - حكاية عن إبراهيم قال سلام" عدل به إلى الرفع، لأن الرفع جملة اسمية تدل على النبوة والدعاوة. وما ذكره ابن عاشور في هذا التوجيه هو ما ذهب إليه أكثر المفسرين.
فقال قال ابن عطية: وقوله " قال سلام " حكاية للفظه و " سلام " مرفوع إما على الابتداء والخبر محذوف تقديره عليه، وإما على خبر ابتداء محذوف تقديره أمري سلام وهذا كقوله " قصير جميل " إما على تقدير فأمي صبر جميل وإما على تقدير قصير جميل أجمل.
وقال الرازي بعد أن ذكر الوجوه الإعرابية المذكورة في (سلام) بالرفع وبالنصب مشيرا إلى المناسبة المعنوية: وآمًا من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم - عليه السلام - أراد أن يرد عليهم بالألسنج، فأتى بالجملة الإسمية فأتيها أدل

---

(1) سورة الدرايبة، آية: 25
(2) التحرير والتنوير 11/12
(3) التحرير والتنوير 12/12
العدد الخاص والعشرون لعام ٢٠١٦
الجزء الثاني

العدد الخامس والعشرون لعام ٢٠١٦
الجزء الثاني

على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلسَ زيد لا يُبنى عنده لأن الفعل لا بد فيه من الإبقاء عن التجدّد والحدث، وهذا لو قلت: الله موجود الآن لثبت العقل الدوام إذ لا يُبنى عن التجدّد، ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاف ينكره العاقل لما بنيا فلمَما قالوا: سلامة قال: سلام عليكم مستمر دائم. (١)

وقال النسفي: (قالوا سلامة) مصدر ساعد مساعد الفعل مستغنٍ به عنـه، وأصله نسفي عليهم سلام (قال سلامة) أي عليكم السلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره مذكور، والعدل إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام كأنه قد قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخدا باب الله، وهذا أيضا من إكرامه لهم. (٢)

ومن هذه المواضع أيضا التي بدأ فيها تأثر ابن عاشور بما عليه جمهور المفسرين في توجيه متشابه قوله - تعالى - (فكان من قرية أهل كناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبنير معتلة وقصر مشهد) (٣) وقاله - تعالى - (وكان من قرية فلما أتى بها وهي ظالمة ثم أخذتها وليته الصير) (٤) حيث تكرر قوله - تعالى - (وكان من قرية) مع اختلاف بعض ألفاظها.

فذكر ابن عاشور مناسبة لفظية بقوله: وأما عطف جملة (فكان من قرية أهل كناها) بالفاء وعطف جملة (وكان من قرية فلما أتى بها وهي ظالمة) بالواو؛ فألن الجملة الأولى وقفت بدلا من جملة (فكيف كان نير) (٥) ففرقنت بالفاء التي دخلت نظيرتها على الجملة المبتدئ منها، وأما هذه الجملة الثانية فخلايا عن ذلك فعطفت بالحرف الأصلي للعطف. (٦)

١٨٥/٢٨
مفاتيح الغيب
٢٧٦/٣
مدارك التنزيل
٤٥
سورة الحج، آية
٤٨
سورة الحج، آية
٤٤
سورة الحج، آية
٤٥
التحرير والتنوير
٢٩٣/١٧٠
فهو يرى أن جملة (فَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ أُﻫِلْكَانَا) عطفت بالفاء لتوافق مع المبلد منها المتليس بالفاء، وهو قوله - تعالى - (فَكَيْفَ كَانَ ﻦَكَبٌ)، أما جملة (وَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ ﺃُﻫِلْكَانَا) المعروفة بالواو، فإنها عطفت على جملة خلت من الفاء، وإنما عطفت على جملة (وَيَعْجُلُونَ ﺑِالْعِذْبَانِ) أو على جملة (وَلَنْ ﯽَخْفَفَ اللَّهُ وَعَذَّبَهُ) المقترنات بالواو.

ثم يشير إلى المناسبة المعنوية يقوله: إن قوله - تعالى - (وَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ أُﻫِلْكَانَا) عطفت على جملة (وَيَعْجُلُونَ ﺑِالْعِذْبَانِ) أو على جملة (وَلَنْ ﯽَخْفَفَ اللَّهُ وَعَذَّبَهُ) باعتبار ما تضمنه استعمالهم بالعذاب من التعرض بأنهم آيسون منه لتأخِّر وقوعه، فذُكِّروا بأن أمَّا كثيرة أمَّهات ثَّمَّ حَـلَّ بِهَا العذاب، فوزان هذه الآية وَرَأَى قُولَهَا آنفًا: (فَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ أُﻫِلْكَانَا وَهِيَ ﺃُﻫِلْكَانَا) الخ: إلا أن الأولى قصد منها كثرة الأمَّات التي أُهِلْكَانَا لَنَ لا تَوْهَمُ من ذكر قوم نوح ومن عطف عليهم أن الهلاك لم تجاوزهم وأنهم أُهِلْكَانَا بَيْنَ الْإِمَامَاتِ دُونَ الْإِمَامَاتِ. وهذه الآية القصد منها التذكِّير بأن تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله، ولذلك أُقَطْسِرُ فيها على ذكر الإمَّالاتِ ثَّمَّ الأخذ بعده المناسب للإملاء من حيث إنَّهُ دخُلَ في القيضَة بعد عَدَدُ عَنْها (3).

فُالآية الأولى وهي قوله - تعالى - (فَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ أُﻫِلْكَانَا وَهِيَ ﺃُﻫِلْكَانَا) أرِيد منها بيان كثرة الأمَّات التي أُهِلْكَانَا، والذِّا جاء فيها ذكر الإمَّالاتِ دون الإمَّالاتِ (أُﻫِلْكَانَا وَهِيَ ﺃُﻫِلْكَانَا) أمَّا الآية الثانية، وهي قوله - تعالى - (وَكَانَانَ ﻣِنْ ﻗَرْيَةٍ أُﻫِلْكَانَا وَهِيَ ﺃُﻫِلْكَانَا) فقد قصد منها بيان أن إمَّالَاتِ الله لهم وتأخير الوعيد لا يقتضي عدم وقوعه؛ ولذا جاء فيها ذكر الإمَّالاتِ ثَّمَّ الأخذ.

(1) سورة الحج، آية: 47
(2) سورة الحج، آية: 47
(3) التحرير والتنوير، 294/295–296
وفي الحقيقة أن ابن عاشور أثار في رأي هذا بما عليه جمهور المفسرين، حيث إنهم ذكروا أن الآية الأولى عطفت بالفداء، والثانية باللواو لأن الأولى بدل من قوله - تعالى - (فكيف كان ذلك) والثانية في حكم ما تقدما من الجملتين المعطوفتين باللواو وهما (ولكن يخلف الله وعدة وإن يومًا عنده ركب كألف سنة ميما تعودون) وذلك لبيان أن المتعدب به يحيى بهم لا محالة. (1)

ومن تأثره بما عليه أكثر المفسرين ما أورده عما جاء في سورة الرحمن من تكرر قوله - تعالى - (فبأي آلاه ربكما تكذبان) (2) إحدى وثلاثين مرة.

فقد ذكر ابن عاشور أن فائدة هذا التكرر توكيد التقرير بما الله - تعالى - من نعم على المخاطبين وتعريض بتوبихهم على إشراكهم بالله أصناما لا نعمة لها على أحد، وكلها دلالة على تفده - سبحانه - باللهجة. (3) وهذا المعنى أشار إليه غير واحد من المفسرين. (4)

وفي سورة الافطار جاء قوله - تعالى - (إذا السماء انفصلت) (5) وفي سورة التكوين قوله - تعالى - (وإذا السماء كشقت) (6) وفي الأشواق قوله - تعالى - (إذا السماء اشقت) (7) فاختفت فواصل الآيات.

(1) الكشاف للزمختري 3/13، مفاتيح الغيب للزراء 34/44 أنوار التنزيل للبيضاوي 4/44، مدارك التنزيل للنسفي 2/46.

(2) سورة الرحمن، آية: 130.

(3) التحرير والتنوير 27/62.

(4) المحرر الوجيز لابن عدبة، 5/236، مفاتيح الغيب للزراء 34/76، لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخزاين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1416 هـ.

(5) سورة الافطار، آية: 1.

(6) سورة التكوين، آية: 11.

(7) سورة الأشواق، آية: 1.
فيذكر ابن عاشور أن الانفجار معاينة انفجار يتسع في السماء، والظاهر أن هذا الانفجار هو الاسم عند البهاة بالانفجار في سورة الانشقاق، وهو حدث يكون قبل البعث وأنه من أشراف الساعة لأنه يحصل عند إفساد النظام الذي أقام عليه حركات الكواكب وحركة الأرض، وذلك يقتضيه قرنه بانتشار الكواكب وتفجر البحار وتبثير القبور. وأما الكشط الذي في سورة التكوين فذلك عرض آخر يعرض للسمو違 يوم الحشر، فهو من قبل قوته - تعالى - (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلًا) (1) وهذه المعاني أجمع عليها المفسرون، وإن كان ذكرهم لها بصيغة مختصرة. (2)

(1) سورة الفرقان، آية: 26، وينظر التحرير والتنوير. 171/303
(2) المحرر الوجيز لابن عطية، 4/32، مفاتيح الغيب للرازي، 7/31، أنوار التنزيل للبيضاوي 392/5

292/12 إرشاد العقل السليم لأبي السعود
تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالزمخشري في توجيهات المشابه اللفظي

يعود الإمام الزمخشري من علماء التفسير المرئيين. الذين عُنا بالكشف عن أسرار القرآن الكريم البلاطية، وإظهار إعجازه اللغوي والبياني. وكان من بين ما اهتم به الزمخشري في تفسيره لكتاب الله تعالى – تأويل وتوجيهه مشابه اللفظي. وكان ابن عاشور واحدًا من علماء التفسير الذين أفادوا بما ذكره الزمخشري.

ومن المواضيع التي استفادها ابن عاشور مما ذكره الإمام الزمخشري عند دراسة مشابهاته قوله: تعالي - في سورة الأنعام (قل، يا فقوم اعملوا على ما كنتمكم إني عامل سؤوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنما يفليك الظلمون) (1) حيث ذكر حرف الفاء في (فسوف) بينما حذف في آية سورة هود ويا فقوم اعملوا على ما كنتمكم إني عامل سؤوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه (2).

فبرب الزمخشري أن الذكر والحرف أصل فائم في العربية. وهو من باب التقنن، لكن الحرف أبلغ ليكون جوابا عن سؤال مقدر، وهو أكمل في باب الفصاحة. حيث يقول: (إذا قلت): أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سو سين تعلمون. (قلت): إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديريا بالاستناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: فمما إذا يكون إذا عملنا نحن على مكاننا. وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. بوصل تارة باللفاء ونرة بالاستناف. كما هو عادة البلغاء في العرب. وأقوى الوصلى وأبلغهما الاستناف، وهو من أبواب علم البلغاء تتكاثر محاسنه (3).

(1) سورة الأنعام، آية: 135
(2) سورة هود، آية: 93
(3) الكشف 2/44
وقد وافق ابن عاشور في قوله وزاد عليه موضحاً أن في خطاب شبيب – على السلام لقومه من الشدة ما ليس في الخطاب الذي أمر به نبينا  صلى الله عليه وسلم – في سورة الأعماش جرأ على ما أرسل به من اللين لهم (فيما رحمةً من الله لنت لهم). وكذلك التفاوت بين معمولي (تعموني) فهو هنا غليظ شديد (من يأتي عذاب يّجزيه ومن هو كاذب) وهو هناك لين (من تكون له عاقبة الدّار).

ومن المواضع التي تأثر فيها ابن عاشور بما ذكره الزمخشري، عند توجيه متشابه قوله – تعالى – في سورة المؤمنون (وقالوا إذاً علينا وكنّا نطاو وعظنا أن نتبعون). لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل فإن هذا إلا أساطير الأولين (2) حيث قدّم (نحن وآباؤنا) على اسم الإشارة بينما جاء في سورة النمل تقديم اسم الإشارة هذا على جملة (نحن وآباؤنا). قال – تعالى – (وقال الذين كفرن إذا كنّا نطأو وآباؤنا) من قبل فإن هذا إلا أساطير الأولين (3).

فيه ابن عاشور أن الغرض من التقدم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، وذلك بعد بيانه أن تقدم اسم الإشارة وتأخيره سواء في مثل هذا الموضوع.

وفي هذا يقول ابن عاشور: وقد تقدم في سورة المؤمنين حكايته مثل هذه المقالة عن الذين كفروا، إلا أن اسم الإشارة الأول وقع مؤخراً عن نحن في سورة المؤمنين ووقع مقدماً عليه هنا وتقديمه وتأخيره سواء في أصل المعنى؛ لأنه مفعول ثان لـ (وعدنا) وقع بعد نائب الفاعل في الآيتين. وإنما يتجه أن يسأل عن

(1) سورة آل عمران، آية: 159
(2) التحرير والتنوير: 153/1
(3) سورة المؤمنون، آية: 82-83
(4) سورة النمل، آية: 68-69
تقديم على توكيد الوضير الواقع نائباً على الفاعل. وقد ناظها في الكشف بـ"أن التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وبسوع الكلام لأجله."((1)) فإن عاشور ينفلق قول الإمام الزمخشري، ويري ما يراه من أن تقديم المعاوض على (ثَنِينٍ) للدلالة على أنه هو الذي تمد بالكلام وهو المقصود الأهم حتى كان ما سواء مطرح وإضافة له.

يقول الزمخشري: فإن قلت: قدّم في هذه الآية - آية سورة النمل - (هذا) على (ثَنِينٍ وَءِبَابُونَ) وفي آية أخرى - سورة المؤمنون - قدّم (ثَنِينٍ وَءِبَابُونَ) على (هذا)؟ قلت: التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر، وإن الكلام إما سبب أجله، ففي إحدى الآتيين دل على أن اتخاذ البحث هو الذي تمد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبوع بذلك الصدد.((2))

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالفخار الرازي في توجيه المشاهب:

من العلماء الذين أولوا موضوع المشابة اللغظة في القرآن الكريم أهمية، وحاولوا كشف أسراره البلاغية الإمام الرازي صاحب مفاتيح الضيب، لذا فقد تأثر ابن عاشور بما ذكره الفخار الرازي.

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالفخار الرازي عند تأويل الأمر بتكرار الهبوط في قوله - تعالى - (وَقَلْنَا إِبْتِرَأُوا بِعَضْمٍ لِبَعْضٍ عَدُوٍّ)((3)) وقاله(قلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا).((4)) حيث يرى ابن عاشور أن الله تعالى كرر الأمر بالهبوط؛ لأن آدم وحواء لما أن تأتي بالضة أمرهما الله تعالى بالهبوط، ولكنهما تابوا بعد الأمر بالهبوط فلم يقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة. لم يبق.

التحرير والتنوير: ٢٥/٠٩
الكشف: ٣٨/٠٣
سورة البقرة، آية: ٣٦
سورة البقرة، آية: ٣٨
هناك أمر بالله ينطبق بعد التوبة، فأعاد الله تعالى - الأمر بالله ينطبق بعد توبة بـ: 

يقول ابن عاشور: فالوجه عندي على تقدير أن تكون إعداد ( أهبطوا )

الثاني... لحكاية أمر ثان لآدم بالله ينطبق; كيلا يظن أن توبة الله عليه ورضاه عنه عند مبادره بالله ينطبق عقب الأمر بالله ينطبق قد أوجبshipping عنه من الهبوط من الجنة، فأعاد الله الأمر بالله ينطبق بعد قبول توبة ليعمل أن ذلك كان لا محله; لأنه مراد الله تعالى، وطور من الأطوار التي أرادها الله تعالى من جعله خليفة في الأرض وهو ما أخبر به الملائكة. (1)

ومن قبله قال الرازي بهذا говор، فبعد أن ذكر بعض أقوال علماء التفسير في هذه المسألة وقامت بتحرير هذا القول من بين الأقوال التي ذكرها، وعبر عنه بأنه أقوى الآراء: فأعاد الله تعالى - الأمر بالله ينطبق مرة ثانية ليعلم أن الأمر بالله ينطبق ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالهما، بل الأمر بالله ينطبق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقاً للموعد المتقدم في قوله: (إنّي جاعل في الأرض خليفة) . (2)

ومن تأثر بالذكر الرازي عند توجيه متشابه قوله تعالى - (واتقوا يومًا لا يجزي نفسًا عن نفسًا ولا يقبل منها شفاعة ولا يُؤخذ منها عذاب ولا هم ينصرون ) (3) وقاله تعالى - (واتقوا يومًا لا يجزي نفسًا عن نفسًا ولا يُؤخذ منها عذاب ولا هم ينصرون ) (4) حيث إن الله تعالى -

__________________________

(1) التحرير والتنوير 4/41
(2) سورة البقرة، آية: 300 ، مفاتيح الغيب 3/42
(3) سورة البقرة، آية: 48
(4) سورة البقرة، آية: 133
قدم في الآية الأولى قبول الشفاعة على أخذ الفدية، وقدم في الآية الثانية قبول الفدية على ذكر الشفاعة.

حيث قال ابن عاشور: وأما نفي القبول مرة عن الشفاعة ومرة عن العدل؛ فإن أحوال الاقوام في طلب الفكاك عن الجناة تختلف فمرة يقدمون الفداء فإذا لم يقبلوا قدموا الشفاعة، ومرة يقدمون الشفاعة فإن لم تقبل شفاعتهم عرضوا الفداء.(1)

ووبهذا يكون ابن عاشور أشار إلى معنى قريب مما ذكره الفخر الرأزي، حيث ذكر أن تقديم الشفاعة مرة وتقديم الفدية مرة أخرى يرجع إلى اختلاف ما يناسب ميل كل أحد، فمن كان ميله إلى حب المال فإنه يفتدى بالشفاعة، وهذا ناسب تقديم (وَلَا يَقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) ومن كان ميله إلى علو النفس أكثر فإنه يقدم الافتقاء بالمال، وهذا من ناسبه تقديم (وَلَا يَقْبِلُ مِنْهَا غُدُولٌ) فجاءت الآيتان بنفسي قبول الافتقاء بالشفاعة وبالمال، لبيان أنه يوم لا ينفع فيه المال ولا الشفاعة إلا من أذن لهم الرحمن.

وفي هذا يقول الرأزي - رحمه الله -: "أن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعيين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصفين.(2)

ومن المواضع التي ظهر فيها تأثر ابن عاشور بالإمام الرأزي عند مقارنته بين لفظة (أنصح) في قصة نوح، (وأناش) في قصة هود، حيث جاء في قصة نوح - عليه السلام - قوله - تعالى - (أَلْبِقِّمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصِحْ لَكَمْ وَأَعْلَمْ(3)

(1) التحرير والتنوير 198/1
(2) مفاتيح الغيب 494/2
من الله ما لا تعلمون) (1) بينما جاء في قصة هود - عليه السلام - قوله -
تعالى - (أَبْعَثْنَا رَسُولًا وَأَيَّانَا لَكُمْ نَاصِحُ أَمِينً،) (2) ففي قصة نوح جاء التعبير فيها بالفعل المضارع (وَأَنَّى لَكُمْ نَاصِحٌ) وفي قصة هود جاء التعبير فيها باسم الفاعل "وَأَيَّانَا لَكُمْ نَاصِحٌ".
فقد ذهب ابن عاشور في توجيهه لما جاء في الآبتيتين بأن الحق - سببته جاء في قصة نوح (وَأَنَّى لَكُمْ نَاصِحٌ) بالفعل المضارع؛ لأن نوحًا قال ما يدل على أنه غير مغلوب عن النصيحة، لذا فقد جاء مع نوح بالفعل الذي يدل على التجدد، لأن نوحًا - عليه السلام - كان يلقى على قومه لبلا ونهارا وسرا وإعلانا.
وقال مع هود (وَأَيَّانَا لَكُمْ نَاصِحُ أَمِينً) ذكر معه ما يدل على أن نصحه لهـ.
وصف ثابت فيه متمكن، فقد جاء مع نوح بالاسم (نصح) المفيد للثبوت، وهو ما يناسب حال هود - عليه السلام - لأنه لم يلق على قومه في دعوته كما كان يفعل نوح - عليه السلام - ولم يتجدد نصحه مثل تجدد في الذي كان يفعله.
وهو - أيضاً - ما ارتأه الإمام الرازي في مفاتيح الغيب حيث قال: فنوح - عليه السلام - قال: (أَنَّى لَكُمْ نَاصِحٌ) وهو صيغة الفعل، وهود - عليه السلام - قال: (وَأَيَّانَا لَكُمْ نَاصِحُ) وهو صيغة اسم الفاعل، والفرق بين الصورتين... أن صيغة الفعل تدل على التجدد ساعة فساعة، وأما صيغة اسم الفاعل فإنها دالة على الثبات والاستمرار على ذلك الفعل. وإذا نloi هذا فنقول: إن القوم كانوا يبالغون في السفاهة على نوح - عليه السلام - ثم إنه في اليوم الثاني كان يعود إليهم ويدعوهم إلى الله، وقد ذكر الله - تعالى - عنه ذلك فقال: (زَبِّ إِنَّى)

(1) سورة الأعراف، آية: 62
(2) سورة الأعراف، آية: 68
(3) نظر التحرير والتنوير 203/8
دَعُوَتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا١ (فَلَمَّا كَانَ مِن عَادَةٍ نَوَحٍ - عَلِيَّهِ السَّلَامُ - العَوُودٌ إِلَى تَجَدِيدٍ تَلَكَ الدَّعْوَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ لَا جِرْمٍ ذَكَرَهُ بِصِيَاغَةِ الفَعْلِ، فَقَالَ: (وَأَنْصَحْ لَكُمْ) وَأَمَّا هُوَدٌ - عَلِيَّهِ السَّلَامُ - فَقُولُهُ: (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ) يَدِلُّ عَلَى كُونَهُ مُثِبِتً فِي تَلَكَ النُّصِيَّةَ مَسْتَقِرًّا فِيهَا. أَمَّا لِيَسِّ مَتَّى إِلَى إِلَامٍ بِأَنَّهُ سَيْعُودٌ إِلَى ذَكْرِهَا حَالًا فَحَالًا وَيَوْمًا فِي وَمَا وَيَوْمًٌۡ)](2).

وَعَنْدَ تَأْوِيلٍ مِّتَشَابِهٍ قُوْلُهُ - تَعَالَى٥ - (تَمَّ إِنَّ رَبِّكَ لِلْذِينَ عَمِّلُوا السُّوءَ بِجِهَالَةٍ ثُمَّ تَابَوْا مِنْ بَعْدِ ذُلْكَ وَأَصَلَّوْا إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفْوَ رَحِيمٌ)۶ (حِيثْ تَكَرُّرُ قُوْلُهُ (إِنَّ رَبِّكَ).

فِيِرَاءِ إِبِنِ عَاشُورِ أَنَّ قُوْلُهُ - تَعَالَى٥ - (إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا) تَوْكِيدٌ لِفُظْ١ۡيَ لِقُوْلُهُ (تَمَّ إِنَّ رَبِّكَ) لِزِيَادَةِ الْاِهْتَمَامٍ بِالْخَيْرٍ عَلَى الْاِهْتَمَامِ الْحَاصلِ بِحُرْفِ التَّوْكِيدِ وَلَامِ الْابْتَدَاءِ وَلِيَتَسِلُّ خِيرٍ إِنْ بَيْنَهُمَا (٥)، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الرَّأْيُ فِي تَفْسِيرِهِ مُخْتَصِرًا، حَيثْ قَالَ: ثُمَّ أَعَادُ قُوْلُهُ: (إِنَّ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا) عَلَى سَبِيلِ التَّأَكِيدِ (٥).

تأثِرُ الإِسْمَاعِيْلِيِّ إِبْنِ عَاشُورِ بَيْنَ أَبِي حِيَانٍ فِي نُوْجِيهِ الْمِتَشَابِهِ الْلَّفْظِيُّ:

كَانَ لِلإِسْمَاعِيْلِيِّ إِبْنِ عَاشُورِ بَيْنَ أَبِي حِيَانٍ فِي نُوْجِيهِ الْمِتَشَابِهِ الْلَّفْظِيُّ: كَانَ لِلإِسْمَاعِيْلِيِّ إِبْنِ عَاشُورِ بَيْنَ أَبِي حِيَانٍ فِي نُوْجِيهِ الْمِتَشَابِهِ الْلَّفْظِيُّ:

١ سورَةُ نَوْحُ آيَةٌ: ٥
٢ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، ٤٩٠٠/١٤
٣ سُورَةُ الْنَّحلُ آيَةٌ: ١١٩
٤ التَّحْرِيرُ وَالْتَوْهِيِّرُ، ٤٣١/١٤
٥ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، ٢٨٣/٢٠
وجاء رأيه موافقا لما ذكره أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند توجيه متشابه قوله - تعالى - من سورة الأنفال (ومن يشاق الله ورسوله فهُم اللّه شديد العقاب) (1) حيث فك الإدغام في لفظ (يشاق) بينما جاء في سورة الحشر مدغماً (ومن يشاق اللّه فإن اللّه شديد العقاب) (2).

فقد ذهب ابن عاشور إلى أن الإدغام وعده جانزان في العربية، حيث يقول: (وأذغم القافان في (ومن يشاق)؛ لأن الإدغام والإظهار في مثله جانزان في العربية، وقرأ بها في قوله تعالى: (ومن يرتد منكم عن دينه) (3) في سورة البقرة. والفك لغة الحجاز والإدغام لغة بقية العرب. (4)

وهذا الرأي الذي ذكره ابن عاشور - رحمه الله - سبق له أبو حيان في البحر حيث يقول: (أجمعوا على الفك في يشاق اتباعا لخط المصحف وهي لغة الحجاز والإدغام لغة تميم كما جاء في الآية الأخرى (ومن يشاق..) (5) وهذا التوجيه الذي ذكره راعيا فيه الناحية اللفظية.

لكن من يتأمل سياق الآتين ويربط ذلك بسبب النزول يستطيع أن يلاحظ فرقا معنويًا وهو أن آية الأنفال صورت المواجهة الأولى في تاريخ الإسلام بين المسلمين والمشروكون، وجاء فيها أنه - سبحانه - أبدم المؤمنين بالملاكمة (إذ تستغفرين ربك فاستجاب لكم أن تصدقكم بآله من الملائكة مرسفين...

__________________________

(1) سورة الأنفال، آية: 13
(2) سورة الحشر، آية: 4
(3) سورة البقرة، آية: 217
(4) التحرير والتنوير، ص. 75/28
(5) البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أحد أثHIR الدين الأندلسي، 188/85، تحقيق صديق محمد جميل نشر: دار الفكر، بيروت طبعة: 1420 هـ.
الآيات(1) وأنه – سبحانه – أمر الملائكة بضرب أعناق المشركين، وضرب كل بنان، ثم علل ذلك بالمشاققة، فناسب الآية فك الإدغام الدال على وفرة هذه المسألة، أما آية الحشر فهي في بناء التضير من يهود المدينة، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم كتب الله عليهم الجلاء وهؤلاء لم تكن مشاقتهم كمشاقة أهل مكة سواء في العداء أو العدة أيضاً، ولذلك ناسب الآية الإدغام(2).

تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالبيضاوي في توجيه المتشابه اللغظي: كان الإمام البيضاوي من بين علماء التفسير الذين تأثر بهم ابن عاشور في تأويل وتوجيه بعض الآيات المشابهة، فكان يوافق قوله قول البيضاوي حيناً وينقل قوله حيناً آخر.

ومن ذلك عند تأويل قوله – تعالى – في سورة البقرة (وذأ أُخْذَنَا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتتناك بقوة وذكروا ما فيه لكم تثقون) (3).


فأثر ابن عاشور في توجيهه لتكرار قوله (وذأ أُخْذَنَا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتتناك بقوة وأسمعوا...) أن هذه الآية جاءت لديبن أن اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم سلاكون طريقة أسلافهم الذين

__________________________
(1) سورة الأنفال، آية: 9
(2) المتشابه اللغظي في القرآن الكريم وأسراره البلاشفية، 5 ص: 521
(3) سورة البقرة، آية: 63
(4) سورة البقرة، آية: 93
تقدمهم في زمن موسى - عليه السلام - في العدة وعدم الإيمان، فالآيات من باب الانتقال بهم في المباحة من غرض إلى غرض آخر، فاليهود المعاصرون للنبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا إذا عرض عليهم الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل عليه من القرآن أدعوا أنهم يؤمنون بالشوراة التي أنزلها الله - تعالى - على موسى وبحضور غيرها وهو القرآن الكريم، فأمر الله تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب في دعائم الإيمان بما أنزل عليهم فقال: (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم قوامين) 1 ثم كذبهم القرآن مرة أخرى (وقد جاعكم موسى بالبيتات ثم أخذتم العجل من بعده واتنتم ظالمون) 2 ثم كذبهم القرآن الكريم - في دعائم الإيمان بما أنزل عليهم - بصورة أخرى فقال - تعالى - (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعتنا فوقكم الظُّور خذوا ما أتيناكم بقوة وأسعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بَنِسَمَا يَأُمِّرُوكُم بِهِ إِيمَانُكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤَمِّنِينَ)

وهي هذا يقول ابن عاشور: (إن أخذنا ميثاقكم ورفعتنا فوقكم الظُّور خذوا ما أتيناكم بقوة وأسعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بنسيما يا أميروك بيه إيمانكم إن كنتم مؤمنين) عطف على قوله (فلم تقتلون أنبياء الله) والقصد منه تعليم الانتقال في المجادلة معهم إلى ما يزيد إبطال دعائم الإيمان بما أنزل إليهم خاصة وذلك أنه بعد أن أذكروا أنهم في ذلك بقولهم (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) كما بينا ترقي إلى ذكر أحوالهم في مقابلتهم دعوة موسى الذي يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بما جاءهم به، فإنهم مع ذلك قد قالوا دعوتهم بالعصيان قولا وفعلا، فإذا كانوا أعرضوا عن الدعوة المحمدية معتقدة أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم فلماذا قابلوا دعوة أنبيائهم بعد موسى بالقتل ولمذا

1 سورة البقرة، آية: 91
2 سورة البقرة، آية: 92
قالوا دعوة موسى بما قابلو، فهذا وجه ذكر هذه الآيات هنا وإن كان قد تقدم نظائرها فيما مضى فإن ذكرها هنا في حاجة أخرى وغرض جديد.(1)

ثم يذكر قول البيضاوي: إن تكرير القصة للتنبيه على أن طريقتهم مع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ طريقة أسلافهم مع موسى وهي نكتة في الدرجة الأولى وهذا إلزام لهم بعمل أسلافهم بناءً على أن الفرع يتبوع أصله والولد نسخة من أبيه، وهو احتجاج خطابي.(2)

ومن ذلك أيضًا عند توجيه متشابه قوله تعالى (لا تجعل مع الله إلهًا آخرين فقتلك وقوله تعالى) (ولَأَتَجَّلُن مع اللَّهِ إلَيْهَا أَخَرَ فَتَلْقَى) في جهَّام مَلَومًا مَذْحُورًا(3) فقد تكررت الآية الثانية وانقطع فاصلتها.

فبئر ابن عاشور أن إعادة الآية الثانية لغض الاهتمام بـ أَمّ التوحيد بتكريمه مضمونه وما رتب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا والمذموم المذكور بالسوء والعيب، والمخذول الذي أسلمه ناصره. والملوم الذي ينكر عليه فعله، والدحور المطرود من جانب الله ومن رحمته.(4)

وهو قد ثار في رأيه هذا بالبيضاوي حيث رأى أن هذه التكرار للتأكيد والاهتمام بأمر التوحيد. حيث قال: (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) كره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، وإن من لا صدق له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه، وأنه رأس الحكم وملاكها، ورتب عليه أولاً ما هو

(1) التحرير والتنوير ١٠٩/١
(2) أنوار التنزيل للبيضاوي ١٠٩/١
(3) سورة الإسراء، آية: ٢٢
(4) سورة الإسراء، آية: ٣٩
(5) التحرير والتنوير ١٠٨/١٥
توضيح الكتابة النفي في القرآن الكريم

تؤثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأبي السعود في توجيه المشابهات النفي:

أهتم الإمام أبو السعود صاحب إرشاد العقل السليم بالكشف عن أعراف القرآن البلاغية وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، ومن كان له اهتمام بهذه النواحي لا بد أن يتعرض لتوجيه المشابهات النفي؛ لأن هذا جانب عظيم من جوانببلاغة وإعجاز القرآن الكريم. ومن ثم فإن ابن عاشور - رحمه الله - تأثر بالإمام أبا السعود في النواحي السابقة ومن أهمها في توجيه المشابهات النفي للقرآن.

ويظهر لنا تأثره عند توجيه مشابهاته قوله - تعالى - في قصة نوح عليه السلام قال الله تعالى في سورة الأعراف (لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم). (1) وفي قصة هود عليه السلام في سورة الأعراف أيضا على لسان هود عليه السلام (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أُثرا تتقون). (2) فقد جاء فعل القول في آية قصة نوح - عليه السلام - بالفعل (فقال يا قوم) بينما جاء في قصة هود عليه السلام بغير فاء (فقال يا قوم).

وفي ذلك يرى ابن عاشور أن قوله - تعالى - (قال يا قوم) فصلت ولم تطع بالفاء كما في نظيرها المتقدم في قصة نوح؛ لأن الحال اقتضى هنا أن تكون مستأنفة استناداً بلياناً؛ لأن قصة هود لما وردت عقب قصة نوح المذكور فيها دعوت قومه صار السامع مترقباً معرفة ما خاطب به هود قومه حيث بعثه

---

(1) آية التثنية 3/256
(2) سورة الأعراف، آية: 69
(3) سورة الأعراف، آية: 65
الله إليه فكان ذلك مثال سؤال في نفس السّامع أن يقول: فمَا دَعا هُوُّ قُوْمُهُ، وَبِمَاذَا أَجَابُوهُ؟ فِي قَطْعِ الجِوَابِ بَإِنّهُ قَالَ: يَا قُومِ اعْبُدُوا اللَّهُ ١ فَأَيْنَ عَلَى وَجْهِ الْبَلَدِ أَنْ يَقْضِيُّ حُكْمَهُ، وَمَا أَسْتَدْعِيَ أَنْ يَكُونَ السَّامِعُ مُتْرَقِبًا وَمُتَشَوَّقًا لِمَعْرُوفِهِ وَغَيْرَهُ، بِهِدَوْمِ قُوْمِهِ مَمَّا أَدْى إِلَى الاختصار.

وما ذكره ابن عاشور هنا هو ما ذكره أبو السعود في تفسيره، حيث قال: قال استنناف مبني على سؤال نشأ من حكایة إرساله - عليه السلام - إليهم كأنه فمَاذا قال لهم، فقيل قال (قلَّ نِعْمَ فَأَخَذَهُ الْلَّهُ). ٢ إلا أن أبا السعود ذكر هذا مختصراً مقتصرًا على بيان الوجه الإعرابي للجملة. وهذا يؤكد لنا مدى تأثر ابن عاشور بأبي السعود في توجيهه بعض مواضع المتشابهات اللغزى في القرآن الكريم.

وعند تأويل متشابه قوله – تعالى – في سورة الفرقان (واَتَخَذُوا مِنْ ذُوَّةِ الْآلهَةِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَثُلُّهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْهاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) ٣ مع ما جاء في سورة مريم في قوله – تعالى – تعالى (وَاتَخَذُوا مِنْ ذُوَّةِ الْآلهَةِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَثُلُّهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْهاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) ٤ وفي يس (وَاتَخَذُوا مِنْ ذُوَّةِ الْآلهَةِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَثُلُّهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْهاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) ٥ حيث أضمر نظم الجلالة لله في سورة الفرقان وأظهره في مريم ويس.

فِي نَعْمَ فَأَخَذَهُ الْلَّهُ ١، ٢، ٣، ٤، ٥

(1) التحرير والتنوير/801
(2) إرشاد العقل السليم/237
(3) سورة الفرقان، آية: ٣
(4) سورة مريم، آية: ١٨١
(5) سورة يس، آية: ٦٤
قوله (الذي له ملك السماء والأرض) ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وخلق كل شيء فدقاء تذكرة.

وإذا ذكره ابن عاشور، وهو أن مجيء قوله (من دونه) بصيغة الضمير، ولم يصرح بذكر اسم الجلالة؛ لأنه جاء مصرا بذكره - تعالى - في الآية السابقة مع اختصاصه بالإلهية وتفرده بالملك - سبحانه - مما أُغني عن ذلك بذكره بصيغة الإضمار.

والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بلدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم، أي اتخذوا لأنفسهم متحاوزين لله تعالى - الذي ذكر بعض شنوته الجليلة - اختصاص ملك السماوات والأرض به تعالى - وانتفاء الولد والشريك عليه.

وخلق جميع الأشياء وتقدرها أبد تقدير.

وهما سبق يفهم أن ما جاء في آية مريم ويس بالإظهار؛ لأنه لم يتقدمهما اسم ظاهر حتى يقع الإضمار بعدهما.

ومن يتأمل آيات القرآن الكريم في مواضيع مشابهة لهذا الموضوع، يجد أن أربعة مواضيع جاءت بالإظهار، وهي: قوله تعالى - في سورة العنكبوت (مثل النعام) والذين اتخذوا من دون الله أولياء)؛ وفي الزمر (أم اتخذوا من دون الله شفعاء)؛ وفي الجاثية (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء)؛ وفي الأحقاف (فلم تنصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة).

---

1) سورة الفرقان، آية: 2
2) نظر التحرير والتنوير 31/1918
3) إرشاد العقل السليم 181/2
4) سورة العنكبوت، آية: 41
5) سورة الزمر، آية: 32
6) سورة الجاثية، آية: 100
7) سورة الأحقاف، آية: 28
وجاءت أربعة مواضع أخرى بالإضمار وهي: في الأنباء قوله: — تعالى
- (أم أخذوا من دونه آلله) (1) وفي الزمر (والذين أخذوا من دونه أولياء ماء
نعبدهم إله الربونا) (2) وفي الشعرى (والذين أخذوا من دونه أولياء الله حفظه
عليهم) (3) وقاله (أم أخذوا من دونه أولياء قال الله هو الولي) (4) وقد جاءت هذه
الأيات مواقفة لما ذكره أبو السعود وابن عاشور من توجيههما لأية مريم ويس
مع آية الفرقان.

(1) سورة الأنباء، آية: 24
(2) سورة الزمر، آية: 3
(3) سورة الشعرى، آية: 6
(4) سورة الشعرى، آية: 9
المبحث الثالث

التجديد في دراسة المشابه اللغظي في القرآن الكريم

عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور.

كان الحديث فيما سبق عن تأثر ابن عاشور - رحمه الله - بأصحاب مصنفات توجيه المشابه اللغظي للقرآن الكريم، وعن تأثره بعلماء التفسير الذين قاموا بتوجيه المشابه اللغظي للقرآن الكريم، فكان من الواجب هنا تبين أن ابن عاشور - رحمه الله - لم يكن دائما متأثرا ومقلدا للعلماء السابقين في هذا المجال، وإنما كان له إسهاماته وإضافاته في هذا الميدان.

وسيكون الحديث في هذا المبحث عن المواضع التي قام العلماء السابقون ببحثها وقام ابن عاشور أيضا - ببحثها ولكن أضاف إليها ووجهها جديدا ليسبهق إليه أحد من العلماء.

وعن مواضع جديدة تعرض لها ابن عاشور وقام بوضع توجيه لها ولم يتعرض لها أحد من العلماء السابقين سواء من أصحاب مصنفات توجيه المشابه اللغظي، أو علماء التفسير الذين كان لهم اهتمام بهذا الجانب.

أولا: الآراء الجديدة التي ذكرها الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مواضيع المشابه اللغظي التي بحثها العلماء السابقون.

من هذه المواضع التي تعرض ابن عاشور لدراستها، وقدم لها توجيهها جديدا، يختلف عما ذكره العلماء السابقون، عند توجيه مشابه قوله - تعالى - في سورة البقرة (وقاتِلُوهُمَّ حتَّى لا تُكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ) (1) حيث حذف لفظ التأكيد (كله)، بينما ذكر في آية الألفان في قوله - تعالى - (وقاتِلُوهُمَّ حتَّى لا تكونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كَلَّهُ لِلَّهِ) (2).

(1) سورة البقرة، آية: 93
(2) سورة الألفان، آية: 39
فيبري الخطيب الإسكافي أن القتال في الآية الأولى مع أهل مكة فحسب، فنزلت في قوم مختصرين، فلا حاجة للتأكيد، وفي الأطفال نزلت في جميع الكفار، فجاءت الآية بالعموم، وهذا يقتضي تأكيد الدين بقوله: (كله).

حيث يقول: إن الآية الأولى من سورة البقرة جاءت في قتال أهل مكة، ألا ترى ما قبلها: (وأقنعوهُم حيث تفقهتموهُم وأخرجوهُم من حيث أخرجوكُم) (1) ثم قال: (وأن تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلونكم فيه) (2) ولهذا مختص بقتال قوم مختصرين من أهل الشرك، وهما نازلو الحرم، فاقتصر على الدين من غير توكيد على معنى: حتى يكون الدين حيث هؤلاء، ولا في كل مكان، وأمّا في سورة الأطفال فأمر ورد عاما في قتال كل الكافرين، ألا ترى أن قبل الآية: (قل الدماء كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) (3) وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة (4).

وقد وافقه على هذا التوجيه الكرماني، وإبن الزبير، والأنصارى، وأبو حيان، والألوسي. (5)

وقد كان لابن جمعة توجيه قريب مما ذكره الخطيب الإسكافي، فقد ذكر أن آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة، وفيها لا زال صناديق قريش أحياء ولم يكن للمسلمين في ذلك الوقت رجاء في إسلامهم، أما آية الأطفال فنزلت بعد معركة.

(1) سورة البقرة، آية: 191
(2) سورة البقرة، آية: 191
(3) سورة الأطفال، آية: 38
(4) درة التنزيل وغرة التنوير، 1/1326
(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص 84
(6) ملاك التنوير، ص 32-34
(7) فتح الرحمن ص 55
(8) البحر المحيط، 2/472
(9) روح المعاني 1/472
توجه المتاشب النفي في القرآن الكريم
عند الإمام محمد الطاهر
ابن عشور بين التأثر والتجديد

وحيلاً كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنان بسوهاج
مجلة علمية محكمة

بدر، وفيها قتل صناديق قريش، فكان للمسلمين رجاء في إسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد - سبحانك - رجاءهم ذلك، أي لا يعبد سواء.

أما ابن عاشور فقد ذكر أن أية الأنفال أسبق في النزول من آية البقرة، فاحتاج فيها إلى تأكيذ مفاد صيغة اختصاص جنس الدين بأنه الله تعالى - لفتهم الافتتاح بالإسلام غالب المشركين فلما تقرر معنى العموم وصار نصا من هذه الآية عدل عن إعادته في آية البقرة تطلبا للايجاز.

وقد اختالف توجهه ابن عاشور عن توجيهات العلماء السابقين، وكل ما ذكر تعليقات حسنة مقبولة، ولكن اجتهاده الذي وفقه الله إليه.

ومن المواضيع التي ذكر ابن عاشور في توجيهها معنى جديد عند تعارضه لتوجيه المتاشب قوله - تعالى - في سورة الأنعام (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) حيث ورد تقديم اللهو على اللهو، بينما جاء في سورة العنكبوت قوله - تعالى - (وما هذى الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحياة الدوام لرؤوا بيغمون) فجاء تقديم اللهو على اللهو.

وحين تحدث علماء المتاشب في توجه هذين الموضعين، ذكر الخطيب الإسكافي أن اللهو يكون في زمن الصبا، أما اللهو فهو في زمن الشباب، وزمان الصبا متقدم على زمان الشباب، فالآيات التي قدم فيها اللهو على اللهو كان ذلك مراعاة لما هو أسبق.

(1) كشف المعاني 13-11-14 
(2) التحرير والتنوير 2/347/9 
(3) سورة الأنعام، آية: 22 
(4) سورة العنكبوت، آية: 42
أما آية العنكبوت التي ورد فيها تقديم اللهو على اللاعب فذلك لأن زمان الشباب الذي يكون فيه اللهو أكثر من زمان الصبا الذي يكون فيه اللاعب، فقددا الكثير على القليل. (1)

وقد وافقه على هذا المعنى الكرماني(2) الذي اختصر ما ذكره الخطيب الإسكافي، كما وافقه أبو يحيى الأنصاري، حيث قال - رحمه الله: قوله تعالى:
(وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو..) الآية. قدّم اللعب هنا وفي "الفتال " و " الحديد " و عكس في " الأعراف " و " العنكبوت " لأن اللعب زمن الصبا، وللهو زمن الشباب، وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب، فإناسب إعطاء المقدم للأكثر، والمؤخر للأقل. (3)

ولما تعرض ابن عاشور لتوجيه متشابه هانيتين الآتيتين، رأى أن تقديم ذكر اللعب في الأفعال لأن الآية (لم تشمل على اسم إشارة يقصد منه تحقيق الحياة الدنيا، فكان الابتداء بأنها لعب مشيرا إلى تحقيدها؛ لأن اللعب أعرق في قلعة الجدوى من اللهو. ولما أشير في هذه الآية - آية سورة العنكبوت - إلى الحياة الآخرة في قوله (فأفتحي بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدٍ مَوْتِهَا)(4) زادته تصريحا بأن الحياة الآخرة هي الحياة الحق... (5)

ومن هذه المواضع أيضا ما ذكره في توجيه متشابه قوله - تعالى - في سورة هود (حتى إذا جاء أمرنا وفارت الّذين قلنا أحمل فيها من كل فرجين أنين وأهلكم إلا من سبق عليه القول ومن آمن)(1) قوله - تعالى - في سورة

(1) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل 1516-525
(2) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص 107
(3) فتح الرحمن ص 164
(4) سورة العنكبوت، آية: 63
(5) التحرير والتنوير 31-2/1
(6) سورة هود، آية: 400
المؤمنون (فأوحي إليه أن أصنع القلّك بأغينه ونحن فإذا جاء أمرنا وفار النور
فاسلك فيها من كل زوجين أثناً وأثلك (1) حيث تكرر الأمر بصعى السفينة في
سورتي هود والمؤمنون، ولكن جاء في سورة هود (أحمل فيها) وفي سورة
المؤمنون (فاسلك فيها).
فحينما تعرض ابن عاشور لتوجيه هذا الموضوع، وقدم له توجيها، نجد أن
أكثر أصحاب مصنفات توجيه المشابهات اللفظية لم يتعرضوا له، فلم يذكره الكرمانى
وابن جماعة وأبو يحيى الأنثراوي من بين المسائل التي قاموا بتوجيهها، ومن
قام بتوجيهه منهم، قال في تفسير هذا الموضوع، إن سورة هود لما جاءت مفصلة
لقصة نوح - عليه السلام - فقد جاء فيها (أحمل فيها) الذي يدل على معنى
أوسع، وأما سورة المؤمنون لما جاءت قصة نوح فيها موجزة ناسبها قوله
- تعالى (فاسلك فيها) الذي يفيد معنى الادخال. (2)
وحينما وجه المفسرون القديمي هذا التشابه اللفظي بين قوله - تعالى -
في قصة نوح - عليه السلام - (قلنا إحمل فيها) وقوله (فاسلك فيها) اكتشفوا بذكر
معنى كل آية فقط فقالوا (أحمل) تفيد مجرد الحمل، أما كلمة (اسلك) فمعناها
أدخل فيها. (3)
أما لو تأملنا فيما ذكره ابن عاشور في توجيه هذا الموضوع لوجدناه يضيف
معنى جديدًا حيث يقول: وقد عبر في سورة هود بقوله (قلنا إحمل فيها) وفي
سورة المؤمنون بقوله (فاسلك فيها) لأن آية سورة هود (أحمل فيها) حكّت ما
خاطبه الله به عند حدوث الطوفان وذلك وقت ضيق فأمر أن يحمل في السفينة من

(1) سورة المؤمنون، آية: 27
(2) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل 928/ 368، ملاك التأويل ص 256- 257
(3) ينظر تفسير الكشاف 34/ 184، مفاتيح الغيب للرازي 17/ 484، 233/ 484، أئوال التنزيل
للبيضاوي: 3/ 82، مدارك التنزيل للنسف 2/ 65
أرّاد الله إيقاؤهما، فأنسد الحمل إلى نوّع تُمثاً للإسراع بإركاب ما عين لـه في السفينة، حتى كان حاله في إدخاله إياهم حال من يحمل شين ليضعه في موضع.
وآية سورة المؤمنون حكت ما خطابه الله به من قبل حدوث الطوفان إبّاء بما يفعله عند حدوث الطوفان فأمره بأنه حينئذ يدخل في السفينة مـن عـين الله إدخالهم، مع ما في ذلك من التفني في حكاية القصة. (1)
ويفهم من كلم ابن عاشور أن آية سورة هود (أحـمل فيها ) تفيد مجرد الحمل فقط عند حدوث الطوفان، أما آية سورة المؤمنون (فاسـلَك فيـها) فتفيد الإدخال وتسكن كل شئ في موضعه المناسب له، حيث إن هذا الأمر كان قبل وقوع الطوفان وهو وقت فيه سعة يحتمل ذكر التفصيل، وقد دل على ذلك ما ذكره الشنقيطي (2) أن هذه السفينة فيها بيوت يدخل فيها الراكبون. (3)
وما ذكره ابن عاشور في توجيه هذا الموضوع لم يتأثر فيه بأحد ممن سبقه، وإنما هو إضافة منه واجتهاد له، لم يسبقه إليه أحد.
وعندما تحدث علماء المشابهة في قولهـ: تعالىـ في سورة يوسف (ولمَّا بلغ أشـده آتيتاه حكَّمـاً وعَلـماً وذَكَّرَنـا نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (4) فقد حذفت هنا جملة (واستوى) التي وردت في آية مشابهة في سورة القصص في قصة موسى (10).

(1) التحرير والتنوير ١٨/١٦٢٦
(2) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد الكريم الجكسي الشنقيطي: مفسر مدرس مـن علماء شنقيطـ موريتانيا ولد وتعلم بها، ثم وافتقر مدرسا في المدينة المنورة، ثم الرياض وأخبره في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وتوّج بعثه. له كتب منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب. وتوفي: ١٣٩٣-الأعلام للزرقالي، ٥/٤.
(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد الكريم الجكسي الشنقيطي، ٢/١٨٢، ونشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
(4) سورة يوسف، آية: ٢٠.
١٨

- عليه السلام - في قوله - تعالى - (ولما بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا ونذري المحسنين). ١

فعندها تحدث الخطيب الإسكافي عن سر زيادة (واستوىً) في أمر موسى دون يوسف - عليه السلام - ذكر أن يوسف - عليه السلام - نبيه على ما برام منه قبل بلوغ الأربعين برؤيا الكواكب والحوى حين ألقى في الجبل، وما أنبه الله عن علم التأويل.

أما موسى - عليه السلام - فلم يعلم المراد منه، ولا نبه عليه قبل بلوغ الأربعين وقيل مفارقة شهيب، فناسبه (وستوى) لا سبب على قول أكثر المفسرين أن الاستواء بلغ الأربعين لأنها كمال العقل.

يقول الخطيب الإسكافي: والذى يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف - عليه السلام - الاستواء بعد بلغ الأشده، هو أن يوسف - عليه السلام - أخبر الله - تعالى - أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته في الجبل حيث قال: (وأوجبتنا إليه نبتينهم بأمره هذى وهم لا يشترعون) ٢ وأراه - عز وجل - الرؤيا التي قصها على أبيه، وموسى - عليه السلام - لم يفعل به شيء من ذلك إلى أن بلغ الأشده واستوى، لأنه لم يعلم ما أريد به إلا أن استأجره شهيب - عليه السلام - ومضت سنة إجازته وصار بأهله، فهناك آتاه ما آتاه من كرامته الله - تعالى - وقيل: إنه بعد الأربعين، فلم ينتظر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالحوى ما انتظر به موسى. ٣

١ سورة القصص، آية: ١٤

٢ سورة يوسف، آية: ١٥

٣ درة التنزيل ووجهة التأويل، ٢٨٩/٧
وقد وافق على هذا التوجيه علماء المتشابه كالكرماني،(1) وابن الزبير،(2) وابن جماعة(3) وأبو يحيى الأنصاري.(4) ولم أجد من تعرض لهذا الموضوع من علماء التفسير.

بينما لابن عاشور رأي آخر غير ما ذكره علماء المتشابه، وهو رأي تبدو عليه مخالي الجودة. حيث قال: والحق أن الأشد كمال القوة؛ لأن أصله جمع شدة بكسر الشين بوزن نعمة وأنعم، وهي اسم هيئة بمعنى القوة ثم عوامل معاملة المفرد. وأن الاستواء كمال البنية كقوله: تعالى - في وصف الزرع (فاستطاع فاستطاع على سوّقه)،(5) ولهذا أريد لموسى الوصف بالاستواء ولم يوصف يوسف إلا ببلوغ الأشد خاصة؛ لأن موسى كان رجلاً طوالاً كما في الحديث (كانه من رجال شنوءة)،(1) فكان كامل الأعضاء ولذلك كان وcket القبطي قاضياً على الموكز.(6)

فابن عاشور يرى أن تخصص موسى - عليه السلام - بوصف الأشد الذي هو كمال القوة لما تميز به موسى عن يوسف - عليه السلام - بكمال البنية الجسمانية.

البرهان في توجيه المتشابه القرآن ص 148
(1) ملاك التأويل ص 267
(2) كشف المعاني ص 215
(3) فتح الرحمن ص 278
(4) سورة الفتح، آية: 92
(5) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنباء، باب: قول الله: وذكر في الكتب مريم إذ أنجبت من أهلها، حديث: 3437 ص 24 نشر مكتبة الإيمان - المنصورة - مصر. شنعة قبيلة معروفة، أي يشبه واحداً من هذه القبيلة، والشنوءة بفتح الشين التباعد بين الأدناس لقلب به حي من اليمن لطهارة نسبهم وحسن سيرتهم. فرض القدر شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي 7 نشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - طبعة أولى 1356
(6) التحرير والتنوير 87/2
 seri: تقديم، قُتل؛ يتّبعون بَك لِـيُقْتَلُوا فَأَخْرَجَ (إِنَّ لِكَ مِنَ النَّاصِئِينَ) (1) حيث جاء ترتيب الآية على وضعه الأصلي، فジャー الفاعل وهو (رجل) بعد فعله، بينما في سورة يس جاءت الآية بتقديم الجار والمرجور على الفاعل، يقول – تعالى – (وجاء من أقصى المدينة رجل يَسِعَ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبَعُوا الْمُرْسَلِينَ) (2) ففصل هنا بين الفعل وفاعله بقوله (من أقصى المدينة).

وحينما قام الخطيب الإسلامي بتوجيه هذا المتشابه، رأى أن تقديم الجار والمرجور في يس يفيد تبكيت القوم، فالناصح جاء من أقصى مكان في المدينة، وهو لم يحضر ما يحضرون، أما تقديم الرجل في القصص فلأنه الأصل، ولم يكن فيه ما يدعو إلى التبكيت.

يقول الخطيب الإسلامي: الذي يفاد المخاطب أن يعلم أنه – أي الرجل – جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، فقدما تبكيت القوم به أعظم، والتهجع منه أكثر، فقال: (وجاء من أقصى المدينة رجل) ينصبه لهم ما لا ينصبون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربهم منهم، لم يحضر جميع ما يحضرونله، ولم يشاهد من كلام الأنبياء ما يشاهدونه... وأما الآية الأولى من سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه، فاعلمه ما فيه الكفار من انتصارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدما ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من

(1) سورة القصص، آية: 20
(2) سورة يس، آية: 20
أقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة. (1) وقد وافق ابن الزبير على ذلك الرأي. (2)
أما الكرماني فذكر أن تقديم الفاعل في آية القصص وهو (رجل) لأنه يقدم قوله – تعالى – (فوجد فيها رجلين)، (3) وجاء في آية يس بتأثير الفاعل وهو (رجل) لأنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسول سمع مستعجلًا. (4)
وقد وافق أبو يحيى الأنصاري (5) على ذلك الرأي، ونقل كلامه. ولم أقف على توجيه لأحد من علماء التفسير في توجيه هذا المتشابه، وإنما كان قولهم منصبا على بيان العلة من تنبير (رجل) في الآية.
أما ابن عاشور فذكر أن الرجل الذي ورد ذكره في سورة القصص كان ناصحا، ففاجأ الترتيب على الأصل، أما في يس فالفراج جاء يدعو إلى الإيمان، وفي هذا اهتمام وثناء على أقصى المدينة، وأن الإيمان ظهر في أطراف المدينة قبل ظهوره في وسطها؛ لأن قلب المدينة هو مسكن الحكام والمشرفين وهم أبعد عن سباق الإيمان، بينما أطراف المدينة مسكن الضعفاء والفقراء وهم أتباع الأطباء غالبا، ففيه إشارة إلى أنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط.
حيث قال ابن عاشور: وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإمام بالله ظهر في أهل ربيع المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة، لأن قلب المدينة هو مسكن حكمائها وأحجار اليهود وهم أبعد من الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوه إليهم الرسول، وعامة سكانها تبع لعظيماتها لتعلقهم بهم وخشيتهم

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، 1083، 1084
(2) ملاك التأويل، 383
(3) سورة القصص، آية: 15
(4) البرهنان في توجيه متشابه القرآن، ص 194
(5) فتح الرحمن، ص 29، 4
بأعمال يخفف أطراف سكان المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلاة اكتراث
بالآخرين؛ لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو.
وبهذا يظهر وجه تقديم (من أقصى المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء
على أهل أقصى المدينة، وإفادة أنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في
الوسط، وأن الإمام يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدم عن الحق ما فيه أهل
السيدة من ترف وعظمة إذ المعتمد أنهم يسكنون وسط المدينة.
ومن هذه المواضع ما جاء في سورة الكهف، حيث جاء الضمير مرة مفردة
مرة مجموعا مع فعل واحد وهو (أراد) والآيات الثلاث في قصة واحدة، وهى
قصة الخضر مع موسى - عليه السلام - ففي قصة خرق السفينة جاء
الضمير مفردا مسندًا إلى الخضر - عليه السلام - (فأردا أن أعيبها)،(1)، وفي
قصة قتل الغلام جاء الفعل مضافًا إلى ناء الفاعلين (فأردا أن يبدلهما ربهما خيرًا
منه)،(2)، وفي قصة إصلاح الجدار جاء الفعل مسندًا إلى الله - عز وجل - (فأراد
ربك)،(3).

فيري الكرماني: أن الظاهر في الآية الأولى إفساد، فأسند إلى نفسه،
والثاني إفساد من حيث القتل، وإنعام من حيث التبديل، فأسند إلى نفسه وإلى الله
- سبحانه -، والثالث إنعام محض فأسند إلى الله - عز وجل -، ثم قال بذكر
توجه آخر لضمير الجمع في قوله (فأردا) وهو أن القتل كان من الخضر،
وإزهاق الروح كان من أمر الله،(4)

(1) سورة الكهف،آية: 36
(2) سورة الكهف،آية: 79
(3) سورة الكهف،آية: 81
(4) سورة الكهف،آية: 82
(5) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص 170
وقد وافق ابن جماعة على هذا التوجيه، وزاد بأن هذا حسن أدب من الخضر مع الله — تعالى — (1)

كما وافقه أبو يحيى الأنصاري ونقل كلام الكرماني، ثم ذكر توجيهها آخر للجمع، ويرى أنه الأولى: وهو أنه لما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع، تنبهها على أنه من العظام في علوم الحكمة، فلم يقدم على القتل إلا لحكمه عالياً. (2)

إذا فأكثر العلماء والمفسرين على أنه في أمر الإفساد المحض نسب فعل الإراده إلى الخضر بصيغة المفرد (فأردت أن أُعيِّبْها)، وفي أمر الإصلاح المحض نسب الإراده إلى الله — تعالى — (فإرادت ربّك)، وأما أمر القتل لما كان فيه إفساد في ظاهره وإنعام من حيث التبديل، فأسنده إلى نفسه إلى الله — سبحانه.

أما ابن عاشور، فقد كان له توجيه آخر يفهم من خلال حديثه عن سر مجئ جملة (فأردت أن أُعيِّبْها) بين قوله (فكانّت لمساكين) (3) وبين قوله (وكان وراءهمملك) (4) حيث يرى أن قوله — تعالى — (فأردت أن أُعيِّبْها) جاءت نسبة الإراده فيه إلى الخضر، ليبين أن أمر إعابة السفينة وقع عن قصد وتعمد، لبيان الاهتمام بأمر قصد إعابة السفينة.

حيث يقول: (فأردت أن أُعيِّبْها) مترفعة على كل من جملتي (فكانّت لمساكين) و (وكان وراءهمملك)، فكان حقه التأخير عن كلتا الجملتين بحسب الظاهر، ولكنها قدمت خلافاً لمقتضى الظاهر؛ لقصد الاهتمام والإعاقة بإعابة السفينة حيث كان عملاً ظاهر الإكراه وحقيقة الصلاح زيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله، لأنكون السفينة لمساكين مما يزيد السامع تعبجاً في الإقدام على خرقها. والمعنى: فأردت أن أُعيِّبْها وقد فعلت. (5)
أما ما جاء في قصة القتل فبرى ابن عاشور أن ضمير الجماعة في قوله (فأردننا) عائد إلى المتكلم الواحد من باب التواضع؛ على أن غيره مشارك له في الفعل؛ لأن الأمر فيه إزهدان روح وهو في الظاهرة من كبار الذنوب، فناسبه أن يعلم بأن الله تعالى أطلعه على ذلك.

ويقول: وضمير الجماعة في قوله (فأردننا) عائد إلى المتكلم الواحد باظهار أنه مشارك له في الفعل. وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاطف؛ لأن المقام مقامة الإبلاغ بأن الله أطلعه على ذلك وأمره، فناسبه التواضع فقال (فأردننا)، ولم يقل مثله عند ما قال (فأردن أعين أعينها) لأن سبب الإعابة إدراكه لمن له علم بحال تلك الأصناع.۱

ثم يرى ابن عاشور إن إسناد الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصنين السابقين – أي في قصة السفينة وفي قتل الغلام – لأن العمل فيها كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سرّه لأن فيهما دفع فساد عن الناس بخلاف قصة الجدار فتلك كرامته من الله لأبي الغلامين.۲

ثانياً: المواضع الجديدة التي تعرض لها الإمام محمد الطاهر بن عاشور ولم يتعرض لها السابقون.

من المواضع التي تعرض لها ابن عاشور وقام بوضع توجيه لها ولم يتعرض لها أحد من العلماء السابقين، ما ذكره في توجيه متشابه قوله تعالى في سورة الأحقاف (وأذك أذا فأنا أذك قومي بالحقائق)۳ حيث جاءت آية هود بنفظ (وأذك أذا فأنا أذك قومي بالحقائق)۴ فعِدَّ التقدير وأرسلنا إلى عاد آخاه هودا، أما سورة الأحقاف فجاءت بنفظ الإذار.

۱ التحرير والتنوير ۱۳/۱۶
۲ التحرير والتنوير ۱۴/۶
۳ سورة هود: آية ۵۱
۴ سورة الأحقاف: آية ۲۱
فيبري ابن عاشور أن آية سورة هود (وَإِلَى عَادٍ أَخَامَهُمْ هُوَدًا) جاءت
معطوفة على ما سبقها، وهو قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) (1)
أما آية سورة الأحقاف فقد ذكرت قصة هود في سياق الأمر بتنذير النبي صلى الله عليه وسلم نصمه المكذبين له بما جاءهم به، بما حل بقوم عاد الذين كذبوا أخام هودا عليه السلام - فأنزل الله تعالى بهم عقابهم، مع ما فيها من التسلية للرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يجد من تكذيب قومه وعندهم له.

حيث يقول عند تفسيره لآية هود: قوله تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَامَهُمْ هُوَدًا) عطفًا على (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) والتقدير: وأرسلنا إلى عاد أخام هودا (2).

بينما يقول عند تفسيره لآية سورة الأحقاف: سبقت قصة هود وقومه مساق الموضوع للمشركين الذين كذبوا بالقرآن كما أخبر الله عنهم من أول هذه السورة في قوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عِمَّا أَنْذَرْنَاهُمْ مُعَرِّضُونَ) (3) وسبقت أيضاً مساق الحجة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عاد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم. ولها أيضاً موقع التسليه للرسول صلى الله عليه وسلم على ما تلقاه به قومه من العنايد والبهتان لتكون موضوعة وتسلية معاً يأخذ كل منها ما يلبق به (4).

ومن هذه المواضيع أيضاً ما ذكره عند توجيه متشابه قوله تعالى - في قصة نوط - عليه السلام - في سورة الأعراف (إِنَّمَامَ تَأَوَّلَ الرِّجَالِ شَهَوَةً مِنْ...)

(1) سورة هود،آية: 25
(2) التحريج والتنوير: 64/1
(3) سورة الأحقاف،آية: 94
(4) التحريج والتنوير: 26/4
دُونَ النَّسَاءِ (١) وقُوْلُهُ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ النَّحلِ (أَنْتُمُ لَا تَعْبُدُونَ الرِّجَالَ شَهَوَةً مِنْ دُونِ النَّسَاءِ) (٢) وقُوْلُهُ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ الأَعْلَمِ (أَنْتُمُ لَا تَعْبُدُونَ الْرِّجَالَ) (٣) حيث جاء الحق - سبحانه - بالاستفهام الإنكار في سورة النمل والعنكبوت، وجاء بالخبر المستعمل في الإنكار في سورة الأعراف.

وفي ذلك يقول ابن عاشور - رحمه الله - أثناء تفسيره لآية سورة النمل:
فهنا جيء بالاستفهام الإنكار، وما في الأعراف جاء الخبر المستعمل في الإنكار، فيجوز أن يكون اختلاف الحكايّة لأختلاف المحكي بأن يكون لوط قد قال لهم المقاتلين في مقامين مختلفين. ويجوز أن يكون اختلاف الحكايّة تفناً مع اتحاد المعنى، وكلا الأسلوبين يقع في قصص القرآن، لأن في تغيير الأسلوب تجديداً لنشاط السامع. (٤)

فهو يرى أن اختلاف هاتين المقاتلين لااحتمال أن يكون لوط - عليه السلام - ذكر المقاتلين في مقامين مختلفين، فلذا أعيد ذكرهما على حسب كل مقام قيلت فيه، أو أن يكون هذا من باب التفنин في القول حتى لا يعاد الكلام بنفس ألفاظه مما قد يولد السامة، أما حينما يعاد بأسلوب مختلف يكون فيه تجديد لنشاط السامع.

ووهذا من اجتهاد ابن عاشور في دراسة موضوع لم يتعرض لها من سبقة، حيث إن كتب التفسير السابقة لم تتعرض في هذا الموضع لبيان الفرق بين استخدام الاستفهام الإنكار (أَنْتُمُ) وبين استخدام الخبر المستعمل في الإنكار (إنْكُمْ).

(١) سورة الأعراف، آية: ٨١
(٢) سورة النمل، آية: ٥٥
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٢٩
(٤) التحرير والتنوير، ١٩٨٨/١٩
الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمة والبركات.

وبعد الفراج من هذه الدراسة، التي أرجو من الله – تعالى – أن يكون قد وفقت فيها وإليها كان لا بد أن يسفر البحث عن نتائج علمية، من أهمها وأبرزها:

1. اتسم الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – رحمة الله – بسيرة علمية مهيبة، حيث اهتم بكثير من العلوم، وظهر نبوغه وتفوقه فيها، وألف عشرات الكتب في أنواع العلوم المختلفة، فتألف في التفسير، والحديث والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم.

2. يعد كتاب التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور من أهم مصادر توجيه المتشابه اللفظي لآيات القرآن الكريم، فقد اهتم ابن عاشور اهتماماً بالغاً بتوجيه المتشابهات اللفظية.

3. أن متشابه القرآن يطلق على نوعين من المتشابه في اصطلاح المؤلفين في علوم القرآن، وهما: المتشابه المعنوي، وهو ما يقابل المحكمة، والمتشابه اللفظي، والمتراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة.

4. قدم التأليف في علم المتشابه اللفظي، وأن من أهم وأقدم المصنفات التي وصلت إليها من هذا النوع، كتابة ندي الدين وفرصة التأويل للخطيب الإسكافي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، وملاء التأويل لأبن الزبير الغزائي، وكشف المعاني عن متشابه المثنى لبيت الدين بن جماعة.

وفتح الرحمن بكشف ما يتبث في القرآن لأبى يحيى زكريا الأنصاري.
5. أن المصنفات في المتشابه اللفظي، أخذت اتجاهين: الأول: جمع الآيات المتشابهة ببيان مواضعها، ويطلق على هذه المصنفات في هذا الاتجاه المؤلفات في جمع القرآن حيث لم يُ見て أصحابها ببيان العلة وتوجيةسبب الاختلاف بين الآيات المتشابهة، والثاني: التوجية والتعليل، وإبراز الفروق بين هذه الاختلافات اللفظية.

6. تكمن أهمية توجيه المتشابه اللفظي في الاعتماد على سياق الآيات – غالبًا، إذ إنه من أعظم أدوات التوجيه التي اعتمدت عليها المصنفون في هذا العلم.

7. تأثر الإمام العالم محمد الطاهر بن عاشور كثيراً بأصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فتأثر بالخطيب الإسكافي في كتابه درة التدريج وبالكراشبي في كتاب البرهان، وباين الزبير الغرناطي في ملاك التأويل، وباين جماعة في كشف المعاني، وبأبي يحيى الأنصاري في فتح الرحمن.

8. اهتمام علماء التفسير أصحاب التفاسير الكبرى كالزمخشري والفاخر الرازي، وأبي حيان، والبيضاوي وأبي السعد بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وتأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بهم في هذا العلم.

9. لم يكن الإمام محمد الطاهر بن عاشور دائم التلقين والتتأثر بالعلماء أصحاب مصنفات توجيه المتشابه اللفظي، أو علماء التفسير الذين كان لهم اهتمام بتوجيه المتشابه اللفظي، وإنما كان له ملاحظاته وسهاماته في بعض المواضع التي قام بدراسة توجيهها. هذى وفائد التنوير، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجيه الكريم.

الباحث
مراجع البحث

القرآن الكريم – تبارك من أنزله –


2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى – نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.


8. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني – نشر دار المعرفة – بيروت.
9. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لمحصول بـ
حمزة بن نصير أبى القاسم برهان الدين الكرماني – تحقيق: عبد القادر أحمد
عطاء – نشر دار الفضيلة.

10. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي –
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى

11. بحجة الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر – المكتبة المصرية –
لبنان/ صيدا.

12. تأويل مشكل القرآن لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق: إبراهيم
شمس الدين – نشر دار الكتب العلمية – بيروت.

13. التحبير في علم التفسير لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي –
تحقيق: زهير نور – ط وزارة الأوقاف الإسلامية – الدوحة – ط أولى –
1416 هـ.

14. تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ – نشر دار الغرب الإسلامي –

15. التسهيل لعلوم التنزيل لأبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن
جزي الكلبي – تحقيق د/ عبد الله الخالدي – نشر شركة دار الأرقام بن أبي

16. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني – نشر دار

17. تفسير القرآن الكريم لأبى القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية – تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية
18. توجيه مشكل القراءات العشرينية الفرشية لغة وتفسيرها وإعرابها لعبد العزيز بن علي الحربي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين.


23. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري - نشر مكتبة الإمام - المنصورة - مصر.

24. الضوء اللمعان لأهل القرن التاسع لشمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن بن مهدي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي - نشر دار مكتبة الحياة - بيروت.


27. غاية النهاية في طبقات القراء لمشم الدين أبي الخير ابن الجزري - نشر مكتبة ابن تيمية.


29. فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري - تحقيق: محمد علي الصابوني - نشر دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان - طبعة أولى 1983 م.

30. فهرس الفلاسفة والأنثروبولوجيا ومعجم المؤلفين والمسلمين والمسلمات لمحمد عبد الحليم بن عبد الكريم بن محمد الحمسي الإسلامي المعروف بعد الحديث الكتاني - تحقيق: إحسان عباس - نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت.


32. الكشف عن حقوق التوزيع لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشي جار الله - نشر: دار الكتاب العربي - بيروت - طبعة ثانية - 1417 هـ.

34. لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشثبي أبو الحسن، المعروف بالخازن – نشر دار الكتب العلمية – بيروت – طبعة أولى – 1415 هـ.


38. متشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية لصالح بن عبد الله بن محمد الشثري – رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى – سنة 1412 هـ.


41. محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد حبيب بن الخوجة – ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر – سنة 1425 هـ.

43. المصاحف المنبر في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي – نشر المكتبة العلمية – بيروت.


47. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمزة الذهبي – نشر دار الكتب العلمية – ط أولى – سنة 1417 هـ 1997 م.


<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1006</td>
<td>المقدمة</td>
</tr>
<tr>
<td>1009</td>
<td>التمهيد: التعريف بالإمام محمد الطاهر بن عاشور</td>
</tr>
<tr>
<td>1014</td>
<td>البحث الأول: مفهوم التوجيه</td>
</tr>
<tr>
<td>1035</td>
<td>البحث الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالعلماء المتقدمين في توجيه التشابه اللفظي في القرآن الكريم</td>
</tr>
<tr>
<td>1035</td>
<td>المطلب الأول: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بأصحاب مصنفات توجيه التشابه اللفظي</td>
</tr>
<tr>
<td>1059</td>
<td>المطلب الثاني: تأثر الإمام محمد الطاهر بن عاشور بالمفسرين السابقين</td>
</tr>
<tr>
<td>1084</td>
<td>البحث الثالث: التجديد في دراسة التشابه اللفظي في القرآن الكريم عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور</td>
</tr>
<tr>
<td>1099</td>
<td>الخاتمة</td>
</tr>
<tr>
<td>1101</td>
<td>مراجع البحث</td>
</tr>
<tr>
<td>1107</td>
<td>فهرس الموضوعات</td>
</tr>
</tbody>
</table>